لا
تـرادف بالقرءان
نحو تفسير وتدبر أكثر دقة للقرءان

أحمد عبده مـــاهر

إسم المؤلف: مستشار/أحمد عبده ماهر

بريد إلكتروني ahmed1maher1@yahoo com

الناشر..........................المؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب 8257 /2011

الطبعة الأولى يوليو2011

عدد النسخ 1000 نسخة.

www.islam99.blogspot.com

مقدمة الكتاب للمؤلف

الكتاب الماثل له تفرُّد بين الكُتُب، فلعله يحمل الفائدة في كل سطر من سطوره، ويفتح أبوابا ظلّت مغلقة قرونا من الزمن، وهو كتاب يروي ظمأ الباحثين عن الحق استثمارا وتجديدا لجهد السلف، وهو يدعو كل مجتهد لبذل المزيد من الهمة حين يتدبر كتاب الله، فيجعل للقراءة متعة أكبر، وللهداية نصيبًا أوفر.

ولعل القارئ يتصور بأن الترادف موضوع تناوله الكثيرون قديما وحديثا، لكن ما يميز الدراسة الماثلة أنها تعنى بالترادف في القرءان فقط، وهي ليست دراسة موسوعية لكل ما ورد من صنوف التشابه بالقرءان، بل دراسة دلالية، تؤكد مفهوم احتياجنا لتفسير عصري كل عشرة أو خمسة عشر عاما على الأكثر ليستخدم فيها الباحث بكتاب الله، المفهوم العصري والعلمي والدلالات اللغوية السائدة في عصره.

وهي دراسة تطبيقية نعرج بدلالاتها على بعض ما جاء بالتفاسير القديمة؛ لنبين عوار خلودها في ثقافات المسلمين، ولا نعنى بذلك التشهير بجهد الأقدمين، بل وضع حجر الأساس وتهيئة المناخ لبذل الجهد لتطوير النظر في كتاب الله وتفسيره كل فترة، فضلا عن دعوتنا لكل أهل الإسلام أن يتدبروه ليل نهار.

لذلك فإن دراستنا ـ وإن كانت تطبيقية ـ فلن تترصد كل عوار التفاسير القديمة، بل ستدلل فقط على عوار تقديس تلك التفاسير

وتصوُّر خلودها باعتبارها عِلمًا آكدًا، فهي بذلك ليست دراسة أكاديمية صماء بل دراسة تنزل إلى أرض الواقع العلمي والعملي والثقافي للمسلمين؛ لتخرج بنتائج محددة نحو حظر تقديس جهد السلف في تفسيرهم للقرءان، مع وضع جهدهم موضع التقدير والعرفان.

وإبان رحلتي مع الترادف درست بين ما درست كتابا اسمه [الفروق ومنع الترادف] للحكيم الترمذي المتوفى بالقرن الثالث الهجري، ووقفت على اهتمام أساتذة اللغة والأزهر به، لكن ويا للأسف فنحن دوما نرنو للقديم والقدماء، فلم أقف على ترادف بالكتاب إلا في نذر أقل من القليل، وكل الكتاب عبارة عن فروق دلالية عن معاني أفعال، بل لقد صرف المؤلف جهده في أمور لا ترادف فيها البتة، لكنه الولع بالقديم الذي جعل منا متأخرين وهواة التّأخر، بل تجد المتخصصين وهم يَتَرَصّدون بالنقد ومعاول الهدم كل جديد، ومن عجيب الأمر أن المؤلف لم يضع لفظة (ترادف) باسم كتابه، لأن مسمى الكتاب الأصلي هو (مشتبه الأفعال وبيان فروقها)، لكن المُحْدَثين هم الذين ألصقوا به اسم الترادف زورا وبهتانا ليكون حجّة لهم إبان رحلة تأصيل الترادف بالقرءان الذي انتشر كالنار في الهشيم.

والترادف المعني به في الدراسة الماثلة هو اختلاف الألفاظ، واتفاق المعاني، وهو ما سنتناوله بالفصل الأول من الكتاب، وهناك صنف آخر، وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، وهو أمر له ضابط

للوقوف على حقيقته، وهو الوقوف على السياقين السابق واللاحق لتعيين المعنى المراد، وذلك مثل كلمة (يسير)، فقد تكون بمعنى قليل، أو بسيط، أو يمشي، أو سهل، لكن يتوقف المعنى المراد على السياق الذي قبل الكلمة وبعدها للتعرف على المعنى المراد، وسوف أمسّه مسّا خفيفا بهذا الكتاب؛ لأتعرض فيه لأشهر مسألة وهي تحقيق لمعرفة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقراءة والكتابة، وليس ذلك الجهل المزعوم، وهو ما سيرد بالفصل الثاني من الكتاب.

وإننا لنسمع من الذين توقفوا عند أعتاب الفقه القديم بأن هناك ترادفا بالقرءان، يعنون بذلك الصنف الأول (اختلاف الألفاظ، واتفاق المعاني)، فتراهم والقدماء وقد ساووا بين الساعة والقيامة فظنوهما لفظين لمعنى واحد، وبين النّظر والرؤية والبصر فظنوها مدلولا واحدا، ولا يوجد عندهم فرق في المعنى بين تعبير (إن شاء الله) و (بإذن الله)، والحياء هو الخجل في منطقهم، والذنب كالمعصية كالسيئة، وهي جميعا في منطقهم كالخطيئة سواء بسواء، وغير ذلك كثير، وبذلك جرى تفسير الأقدمين للقرءان، بينما تجد حقيقة البيان القرءاني وهو لا يكتفي بانتقاء الألفاظ وتخيُّرِها، بل يشرع في ذلك صراحة ووضوحا يفهمهما أولو الألباب، ويبني عليهما مراد الشارع وحقيقة التشريع.

وقد كان لفقدان تلك الفروق عن دلالات المعاني والتفرقة بين الكلمات أبلغ الأثر السيئ في منظومة تدبر كتاب الله وتفسير المفسرين

القدامى له، ومع تعظيمنا للقدماء وتقليدنا لهم بلا ضابط من عقل قويم، ترى أصحاب الاغتراف من التراث بلا ضابط وهم لم يُفَرِّقوا بين تعبير الميْت والميّت، فالأولى بتسكين حرف الياء، والثانية بتشديد حرف الياء، فظنوهما يُعبِّران عن مفهوم واحد، وبهذا جرت تفسيراتهم والأقدمين للكتاب والسُنّة النبوية، وتصوروا الوفاة والموت والقتل شيئا واحدًا، وصار العدل هو القسط في مفهومهم، وأصبح مفهومهم عن القلب أنه الفؤاد، وكلمة الأب تعني عندهم الوالد، وكلمة بعل تعني عندهم الزوج تماما بتمام، وما هما كذلك، وغير ذلك كثير، مما أثّر في فهم الأجيال للقرءان والسُنّة، فتضاربت واختلت المفاهيم عن حقيقة الهدف القرءاني وقول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.

ولم يكتف أهل النقل من دعاة اليوم ولا فقهاء الزمن القديم من أهل السلف بهذا، بل حددوا مسار بعض الألفاظ القرءانية وضبطوها على ما تصوروا أنه الحق، وحملوا الناس على مفاهيمهم، فأوقفوا فهمها لمرادهم، فصارت الأمية عندهم محصورة في عدم الإلمام بالقراءة والكتابة، وبذلك صار النبي لا يعرف القراءة والكتابة، وصارت قريش كلها لا تعرفهما، لأن الله تعالى قال: [هو الذي أرسل في الأميين رسولا منهم...]، ولأن الأقدمين قالوا بذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وحتى شكل الكتابة لم يسلم من التقليد غير الواع، فحين كنت أستحصل على رقم إيداع للكتاب الماثل لاحظ الناس بدار الكتب أني

كتبت كلمة [قرءان] بينما هي تُكتب في مفهوم الإرث [قرآن]، فعلّق أحدهم على الأمر فبادرته بسؤال هو كيف ينطق الهمزة وكتابته ليس بها إلا دمج للهمزة، ودللت على صحة شكل الكلمة عندي بما هو وارد بكتاب الله لأنها تكتب فيه [قرءان]، والفرق بيني وبينهم أني أعتبر للحرف بالقرءان كل اعتبار، فاختلاف الحرف الواحد بأي كلمة، إنما يرمي به القرءان لمعنى يجب علينا مدارسته والوصول إلى مرماه.

وعموما فإن الوقوف على المعاني الحقيقية للألفاظ من الأهمية بمكان للوقوف على الموضوعية الفكرية لأية آية، وإن القول بالترادف ما هو إلا عجز أو جهل أصاب أحدهم أو بعضهم فتعللوا بالترادف، كما تعللوا بالنسخ بالقرءان، حتى يخرجوا من ورطتهم في عدم فهم المراد القرءاني، أو لعلهم من أهل النقل والاغتراف من القديم بلا ضابط إلا تقديس مراجع الأقدمين وعدم المساس بفاعليتها مهما كان عوارها.

وإن تأصيل الخضوع للثقافات القديمة وعدم تطويرها، ومنع التفكر أفرز شقاء العقل العربي المسلم، لقد تم تهميش العقل لصالح موروثات كانت نورًا ساطعا في زمانها، وأصبحت اليوم ضوء باهت، فهل يجوز التصدي لمحاولات كشف ضلال ذلك التقديس، كيف يمكن لشعوب لا تؤمن بتطور الإفراز العقلي أن تحقق أي تقدم، ولست أدري ما فائدة شعارهم الذي يطلقونه قائلين:[اجتهد لكن لا تختلف].

وقد ألف الأستاذ الدكتور/ محمد داوود كتابا أسماه الفروق الدلالية لألفاظ القرءان، ودلل على أهمية موضوع الكتاب حين ذكر:[ما من شك في أن تحديد الفروق الدلالية بين الكلمات متقاربة المعنى له فوائد أهمها الارتقاء بالقدرة اللغوية ودقة التعبير اللغوي، وإحكامه عند الكُتَّاب والمتحدثين، ومساعدة المتلقي على دقة الفهم، وعدم الوقوع في متاهة الغموض، والوضوح وأمن اللبس].

ولا أنكر وجود ترادف باللغة العربية عموما، لكن لا يوجد ترادف بالقرءان أبدًا، وإن القول بالترادف بالقرءان مع التقيد بفكر السلف ومراجعهم أصاب الحركة الفكرية الفقهية إصابات بالغة السوء، بل زاد الطين وحلا قولهم بتوقف الاجتهاد، باعتبار أن الأوائل قد جهدوا واجتهدوا بما فيه الكفاية، وأظن الجمود الفكري وتوقف أو مقاومة الحركة الإبداعية من أهم عناصر الهبوط في الأداء الدعوي، وسبب من أسباب انصراف الشباب عن الدعاة، فهم يخاطبون رجال الغد بفكر وعقول الأمس، مما يسبب فتور مشاعر الحماس عن القناعة بما يقوله هؤلاء الدعاة.

ولقد رأيت أهمية هذه الدراسة لما تحمله من تطور في مفهوم معنى الكلمة، ليس في سياقها فحسب، لكن أيضا في عدم تشابهها مع كلمة أخرى، بل قد تكون الكلمة واحدة لكن يختلف معناها باختلاف شكل كتابتها في القرءان، فكلمة كتاب تواجدت بسورة الكهف على شكلين في الكتابة وكل منهما له معناه، فأورد تعالى بالآية رقم (1) من السورة كلمة (الكتب) على أنها كلمة (كتاب) ولم يضع حرف المد بين حرفي التاء والباء، بينما بالآية رقم 27 من ذات السورة وردت الكلمة وبها ألف المد بين حرفي التاء والباء، ولكل مدلولها ومعناها الخاص وهو ما سبق وأوردته بكتابي [كنوز ورحمات من القرءان]، بل ذكرت مئات الفروق، ولكل منها دلالته الخاصة، لذلك أرى أن تقليد الأقدمين والتقيد بكل ما ورد عنهم ما هو إلا ظلم للقرءان وللمسلمين وللإسلام.

فالقول بالترادف أصاب بعض أنوار تراثنا، لذا وجب علينا التصدي بأدوات العصر وإدراك أجيالنا، لنعيد كتابة تفسير عصري للقرءان توضع له الضوابط الحديثة؛ حتى يخرج مناسبا لفكر أهل العصر ويأخذ بيد الأُمَّة، ولقد رأى كثير من العلماء عدم وجود ترادف بالقرءان، لكن لم يُكتب لصوتهم نفاذ عبر قنوات الزَّخم القديم، بل هناك بحوث عديدة تُبرهن على أن الإعجاز اللغوي في القرءان يتجلى في انفراد كل لفظ بمعنى مستقل، لا يشاركه فيه غيره، فالفصاحة والمشترك البياني لا يلتقيان في نص واحد.

فما أحوجنا باعتبارنا أُمَّة عظيمة لها تراث لا يستهان به، أن نضع للعلم قواعد جديدة من خلال مستوى الإدراك الذي نعايشه ويتناسب مع عقول اليوم، لكنه بات فريسة للإسرائيليات تارة، ولجهد المقل من العلماء منذ نحو ألف سنة أو أقل قليلا تارة أخرى، ولست أدري كيف يقبل علماء اليوم أن يكونوا مندوبين أو عملاء للفقه القديم دون تجديد أو تطوير.

وقد راعينا بهذه الدراسة أن تكون تطبيقية قدر الإمكان، حتى يقف القارئ على حجم الضرر الذي أصاب الأُمَّة في حاضرها نتيجة التقيد بفكر الأقدمين وعدم تطويره وفقا لتطور الإدراك في عصرنا، بل في كل حقبة زمنية مضت، لذلك وجدت من الواجب إصدارها لمساعدة أهل الدعوة في تطوير الأداء الدعوي، وحتى يمكن تحديث مناهج الدراسة بالمعاهد الأزهرية لتتواكب مع مستجدات اللغة وتطورها وتطور العقول والثقافات.

والكتاب دعوة لإصدار تفسير عصري يجد فيه القارئ سديد الفكر الحديث وهو يتعامل بقدراته اللغوية مع آيات كتاب الله وكلماته، ليعاون المسلم في الارتقاء بفهمه لدلالات الآيات والكلمات القرءانية، فيسمو الأداء الدعوي ويتناسب مع قدرات كل جيل.

وهو دعوة لإحياء البحث في كتاب الله بعد أن هجره الدُّعاة ليهتموا بالبحث في سُنة رسول الله، حتى زين لهم الشيطان تقديمها

على كتاب الله، بل ونسخوا بها آيات كتاب الله، حتى صارت ثقافة النـاس تقديم السُنة على القرءان فعلاً، وإن انطلقت حناجرهم قولاً بالقرءان أولا.

ويبقى دور الإعلام بأنواعه لنشر الدراسة ورفع الوعي الثقافي والفقهي للأُمَّة من خلال الرسالة السامية للإعلام.

مستشار/أحمد عبده ماهر
محام بالنقض ومحكم دولي
كاتب إسلامي

أولا:. الساعة والقيامة.

بات من المُلح أن نتوقف قليلا عن ممارسة التقليد الأعمى والعمل بدين ذمَّهُ الله، وهو دين الآبائية الذي تجمدت على أعتابه حركة تدبر كتاب الله، ولنتخذ المثل أولا بالقيامة

والساعة، ولنعلم بأن لكل منهما خصائص تؤكدها آيات كتاب الله، وليسا أمرا واحدا كما يذكر التراث، وسألخص الأمر قدر الإمكان، معتمدا على علم المسلم المستمد من قراءته لكتاب الله عن الساعة والقيامة، والفرق بينهما أوجزه فيما يلي:.

1ـ فالساعة هي آخر أيام الدنيا، أو هي آخر حقبة زمنية من حقب الدنيا، بينما يوم القيامة هو بالآخرة خارج زمن الحياة التي نعرفها.

2ـ والساعة تقوم على أحياء فتُميتهم، وحينها يُدفن الناس تحت ثرى الأرض، بينما تقوم القيامة على أموات فتحييهم، وتتشقق الأرض عن أجسادهم فيخرجون منها وينبتون كما ينبت البقل، {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ } ق44؛ فهو يوم يقوم الناس لرب العالمين.

3ـ والساعة تأتي بغتة، {... لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً .. } الأعراف187؛ وهي تقوم على أحياء، لذلك فهم يُبغتون ويذهلون: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } الحج2؛ بينما لا تبغت القيامة أحدًا؛ لأنها تقوم على أموات.

4ـ والساعة لها علامات وهي أشراطها، ثم تقوم أحداثها بالفناء للمنظومة الكونية وما عليها من خلائق متبقية، بينما القيامة تقوم ولا

أشراط لها، لأنها تكون على أموات، فلا فائدة من علامات تحدث على الأرض أو في السماء بينما الناس أموات.

5ـ والساعة قد تكون خاصة، أي ساعة موتك أنت، وقد تكون عامة لتدمير وموت كل الخلائق على الأرض وتدمير السماء، أما القيامة فهي عامة فقط.

6ـ وقيام الساعة يعني زوال الدنيا وفناءها، لكن يوم القيامة يوم بناء وتشييد لصروح الآخرة.

7ـ والساعة تقوم على أرضنا هذه وعلى تلك السماء التي نراها الآن، بينما لن يكون يوم القيامة على أرضنا هذه، فتلك الأرض ستزول عند قيام الساعة، ويبدلها الله والسماوات لأجل القيامة، لذلك يقول تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } إبراهيم48.

8ـ ومن أحداث الساعة أن تتزلزل الأرض؛ وتخرج براكين من جوفها، وتُنسف الجبال، وستختبئ فلول البشرية التي ما زالت على قيد الحياة يتساءلون من الذعر عما أصاب الأرض والمنظومة الكونية ويصطرخون من العذاب والاختناقات، ثم تزول الأرض وما عليها، وستكشط السماء وتفتح لتصير أبوابا، ...ثم ...ثم. أما القيامة فهو يوم سكون ولا تكاد تسمع فيه أحدًا يتكلم إلا همسا، أو تخافتا، أو من يأذن له الرحمن بالكلام.

9ـ والساعة ـ لكونها مخصصة للانهدام والدمار والفناء ـ وهي بقسميها العام والخاص لها علاماتها المميزة، فمن علامات الساعة الخاصة المشيب برأسك وكثرة الأمراض والضعف وغيره، بينما من علامات الساعة العامة بعثة سيدنا رسول الله وانشقاق القمر وخروج الدابة التي تُكلم الناس وخروج يأجوج ومأجوج وغير ذلك. أما القيامة فلا علامات لها، لأنها تكون على أموات.

10. والساعة العامة أو الخاصة لها آلامها على أغلب الخلائق لخروج النفس من الجسد، (أعاذنا الله من آلامها)، بينما القيامة إعادة وتزويج للأنفس مع الأجساد بلا آلام.

11. وعند قيام الساعة يكون الإنسان بذات جسده وإمكاناته، بينما بالقيامة يرتفع مستوى الجسد، فيرى الملائكة والجن وغير ذلك من الخصائص التي منها كلام الأيدي والأرجل والجلود.

12. ويمكن حين قيام الساعة أن ينفع معها إيمان وتوبة، وذلك حين الأشراط فقط (مثل بعثة سيدنا محمد وموت من حولك من الناس وكثرة الحروب والفتن، وظهور الشيب برأسك الذي يعني دنو ساعتك أنت الشخصية لتموت)، لكن حين قيامها الفعلي بأشراطها الكبرى (مثل خروج الدابة ويأجوج ومأجوج...الخ) لا ينفع معها إيمان ولا توبة، بينما القيامة لا ينفع فيها أي عمل أو توبة لأنها يوم للحساب فقط.

13ـ قيام الساعة يستغرق أياما وسنين، وذلك سواء أكانت الساعة الخاصة أو العامة، لكن القيامة كلها يوم واحد، فليست القيامة إلا يوما واحدا سرمديًا لا شموس فيه لتشرق أو تغرب.

14ـ وبالساعة يكون هناك شروق وغروب للشمس قبل أن تنكدر وتنطفئ، لكن الأرض تشرق بنور ربها يوم القيامة.

ويوم القيامة إنما هو يوم استقرار على أرض جديدة ليس فيه ذعر من جنس ذعر الدنيا، ويستمد قوة كيانه من رؤية الناس للملائكة، ووقوع الحساب فيه، ودخول الجنة والنار، وما قبل ذلك من أحداث.

لذلك أرى أن تتم دراسة كل ما ورد بكتاب الله عن الساعة وعن يوم القيامة تفصيلا حتى يقف القارئ بتدبر واع لكتاب الله عن أحداث كل منهما، ويمكن الاطلاع على كتابي في هذا الشأن، ولابد أن يعلم المسلم مراد الله عن الساعة والقيامة، ويفرق بينهما وبين تعبير (اليوم الآخر).

بين الساعة والقيامة واليوم الآخر:

أما الفرق بين يوم القيامة والساعة من جهة واليوم الآخر من جهة أخرى، فاليوم الآخر هو الذي يضم الساعة ويوم القيامة عموما فيما يخص الإيمان بهما، فيكون يوم موتك هو اليوم الآخر لحياتك، ويكون يوم القيامة هو اليوم الآخر الذي لا يوم بعده، لأنه يوم سرمدي

أبدي لا غروب فيه، لذلك فقد قرن الله كلمة اليوم الآخر بالإيمان، كما قرن الإيمان به ـ سبحانه وتعالى ـ مصحوبا بالإيمان باليوم الآخر، ولم يقرن الإيمان به مصحوبا بالإيمان بالساعة وحدها ولا بالقيامة وحدها، إنما اختص ذكر الساعة والقيامة على سرد أحداث كل منهما، أو التذكير والتهديد بهما، وهو ما يدل من وجه آخر على عدم وجود زمن بين ساعتك الخاصة (يوم موتك) أو انتهاء الساعة العامة، وبين القيامة، لأن الأمر له حسابات ونظم أخرى غير التي اعتدنا عليها، لذلك كان تعبير اليوم الآخر.

ومبحثنا الماثل يخص الأحداث، وعلى ذلك نخلص إلى أن ذكر الساعة أو يوم القيامة بالقرءان إنما يعني الأحداث التي تتم بكل منهما، فالساعة هي آخر أحداث الدنيا، والقيامة هي أحداث الآخرة، أما تعبير اليوم الآخر فيعني الإيمان بهما معا بوصفهما أحد عناصر الإيمان، وبأن تلك الحياة ستنتهي إلى حياة الجزاء الأبدي، فذلك هو الإيمان باليوم الآخر الذي يضمهما، ولا يوجد من يؤمن بأحدهما ولا يؤمن بالآخر، لذلك فإن تعبير اليوم الآخر هو الذي ضمهما معا ليكوِّن حقيقة الإيمان بهما وليس الأحداث التي تتم بكل منهما، بما يعني الإيمان بزوال الدنيا وبوجود حياة أخرى خالدة، وتعبير اليوم الآخر يعني من وجه آخر ـ كما ذكرت ـ أن الآخرة لا أيام فيها، فهي كلها سرمدية في يوم واحد وخلود أبدي، وأعلم بأن هذا المنطق في التفكير قد يصعب على الكثير تفهمه

أو هضمه، لكن لابد أن نرتقي بإدراكنا ولا نستمر في سطحيات الفكر القديم ننقلها بلا إدراك.

وقد يرى البعض ـ وهو يطالع كتاب الله ـ وجود آيات تحمل صفة الساعة (أنها من الدنيا)، ثم يجد ذات الآية أو التي تليها تحمل صفة القيامة، فيرتج عليه الأمر، لكن تيسيرا للأفهام أن تدرك الأمر... فإن كل ما جاء بالكلمات السابقة وبه شيء عن الساعة وكونها من الدنيا فهو من الساعة، أما ما يأتي بعدها فقد يكون منها وقد يكون من القيامة لذلك وجب التدقيق.

وحتى يتأكد القارئ من خلط أهل الزمن القديم بين الساعة والقيامة، وهو ما يؤكد حاجتنا أن نفكر بإدراكنا نحن وبأدوات عصرنا وننهض لتفسير القرءان بتلك الإمكانات المتاحة بدلا من شرنقة القديم، فتأمل ما جاء بتفسير ابن كثير عن الآية الأولى بسورة الحج، فيذكر ابن كثير ما يلي بالنص والحرف: [{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2) } . يقول تعالى آمرا عباده بتقواه، ومخبرا لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها. وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة: هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عَرَصَات القيامة؟ أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم؟ كما

قال تعالى: { إِذَا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الأرْضُ أَثْقَالَهَا } [الزلزلة: 1 ، 2] ، وقال تعالى: { وَحُمِلَتِ الأرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً * وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } [الحاقة: 14 ، 15] ، وقال تعالى: { إِذَا رُجَّتِ الأرْضُ رَجًّا . وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا } [الواقعة: 4 -6].

فقال قائلون: هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا، وأول أحوال الساعة.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بَشَّار، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عَلْقَمَة في قوله: { إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ } ، قال: قبل الساعة.

ورواه ابن أبي حاتم من حديث الثوري، عن منصور والأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، فذكره. قال: وروي عن الشعبي، وإبراهيم، وعُبَيْد بن عُمَيْر، نحو ذلك.] **انتهى الاقتباس من ابن كثير.**

فهل تأكد القارئ من الخلط الذي وقع فيه ابن كثير حتى إنه اعتمد قول من قال إن زلزلة الساعة شيء عظيم أنه أمر يحدث قبل الساعة، أي أن الزلزلة قبل الساعة وليست حدثا من أحداثها، بل ذكر بالسطر الثالث تعبير [أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها**] فخلط بين الزلزلة التي تكون من أمور الساعة بالحياة الدنيا، ويوم القيامة الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، وهو خطأ جسيم لا نلوم عليه مجتهد**

كابن كثير، لكن نلوم علماء أجيال بعده لم يروا في أنفسهم إلا تقليد القديم والقدماء، بل قالوا: نقف عند حدود علم السلف فأضاعوا الأمة.

الغرض من دراسة الفرق بينهما:

وفائدة دراسة الفرق بين اللفظين يعيد صياغة تفهمنا لمعاني ما ورد من آيات كتاب الله، وبالتالي تعديل كثير من أفكار السلف عما يدّعونه من بعض التفسيرات المخالفة لمرامي الآيات، كما أنه من واجب البيان أن نذكر بأن التسميات (ساعة ـ قيامة ـ يوم آخر) لا تعنينا قدر ما يعنينا وثوق المسلم ببديع البيان القرءاني وفهمه لآياته ودلالات الألفاظ به.

كما أن أمتنا ـ وهي الأمة العربية ـ منوط بها دعوة باقي الأمم إلى دين الإسلام، فلابد علينا من فهم الألفاظ حتى نقوم بأعباء الدعوة أو حتى نباشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بناء على فهم قويم ولنعلم بأننا نخاطب أممًا ذات عقول وثقافات أوسع من تلك العقول النقلية التي نترنح بها في الحياة، لذلك علينا الالتزام بالدقة.

وحيث تأكد القارئ بأن هناك فرقًا بين الساعة والقيامة فإننا نكون بحاجة ملحة لإصدار تفسير آخر لا يكون للترادف فيه محل، وهو ما يجب على علمائنا القيام به.

ولقد تكررت كلمة (الساعة) بالقرءان 39 مرة في خمس وثلاثين آية، وتكررت عبارة (تقوم الساعة) خمس مرات في خمس آيات، وتكررت كلمة ساعة غير معرفة بحرف التعريف (أل) 8 مرات في ثماني آيات.

وتكررت كلمة (القيامة) بالقرءان 70 مرة في سبعين آية، وذكرت القيامة والساعة مجتمعتين في سورة واحدة 13 مرة في ثلاث عشرة سورة. ولقد ذكرت عبارة (واليوم الآخر) 22 مرة، في 22 آية مقترنة كلها بالإيمان بالله، وذكرت كلمة (اليوم الآخر) بدون واو العطف مرة واحدة.

وكما نعلم بأنه لا ترادف [تماثل المعنى] فيما ورد بالقرءان من كلمات، فلكل كلمة مدلولها الخاص بها، لتُبَيِّن ما عناه الله بدقة متناهية، فحين يذكر الله كلمة الساعة فلا تعني أبدا يوم القيامة، ولا يعني لفظ يوم القيامة بأنه الساعة، ودعكم من تفسير الأمس الذي كان لا يفرق بينهما.

فالفقه القديم كان يرى أحداث الساعة وقيامها الفعلي أنها علامات للساعة، وكانوا يسمونها العلامات الكبرى للساعة، لأنهم كانوا يعتبرون يوم القيامة هو الساعة، والساعة هي يوم القيامة، سواء بسواء، وقالوا أيضا بالعلامات الصغرى للساعة، وكل ذلك مرجعه عدم معرفتهم الفرق بين القيامة والساعة.

ومن أراد المزيد فليطلع على كتابنا [الساعة . القيامة . هناك فرق].

ثانيا: الفرق بين قول [إن شاء الله . بإذن الله].

تعبير (إن شاء الله) يمكن للمرء إطلاقه حين يكون له سعي أو مسئولية في الأمر، وآية ذلك نستخلصها من كتاب الله فيما أورده عن تلك العبارة، فتجد أنه ما ورد ذلك التعبير إلا وتجد للجنس البشري فيه

يدًا أو عملاً أو مسئولية، بينما تعبير (بإذن الله) لم يرد إلا ليدلل استحواذ الله على الأمر، حتى وإن كان الفاعل بشرا.

الفرق الثاني هو أن للعبد مشيئة، ولله مشيئة، ولا تبدأ مشيئة الله إلا بعد مشيئة العبد، وفي ذلك يقول تعالى: {وَمَا تشاءون إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً } الإنسان30؛ وليس كما يتصور البعض أن تسبق مشيئة الله مشيئة العبد، لأن العبد المعتمد على الله تساعده مشيئة الله وتكلؤه، لكن في تعبير (بإذن الله) فإن إذن الله يسبق ويقهر إرادة العبد، وبغير إذن الله لن يتم أي أمر من الأمور المتعلقة بإذن الله، وسنبدأ في سياحة قرءانية لإثبات ذلك الأمر، حيث يقول سبحانه وتعالى:.

1. {قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ} البقرة.70

2ـ {فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ } يوسف.99

3ـ {قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً } الكهف.69

4ـ {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ ......وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } القصص27.

5ـ { ...... قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } الصافات102.

6ـ {.. لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ..}الفتح27.

7. {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً{23} إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً{24} الكهف.

فهل لاحظ القارئ وجود دور الفرد في تعبير (إن شاء الله) بكل آية من الآيات السابقة؟؛ ستكون الإجابة بالإيجاب؛ لأن الفرد هو الذي سيفعل، ويصبر، ويكون صالحا، ويدخل مصر، وهو الذي عزم على الهداية فهداه الله..

الفرق بين مشيئة التوبة ومشيئة الإرادة.

حين يشاء العبد أن يتوب فلابد أن تسبق مشيئة العبد في التوبة مشيئة الله في القبول، لكن إذا أراد العبد شيئا آخر، وعمد إلى فعله، فإن عمله مُعلق بمشيئة الله، إن شاء وفّقه وإن شاء لم يوفقه، لكنه في الحالين يكون منفذا لما أمر به الرحمن.

لكن الذين يتصورون قوله تعالى: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }التوبة118؛ فيتخيلون بأن مشيئة الله في التوبة سبقت مشيئة

الثلاثة الذين خُلِّفوا، فإن هذا تأويل خاطئ لأنهم تابوا أولا قبل أن يتقبل الله منهم توبتهم.

أما مشيئة الإرادة فموكولة إلى قوله تعالى: {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ }آل عمران171؛ وقوله سبحانه: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}هود115؛ وقوله جل في علاه: {وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ }الأعراف170؛ فمنهاج الله دوما ألا يضيع أجر كل من شاء مشيئة خير وكان من المؤمنين أو المحسنين أو المصلحين، وتلك مشيئته التي سبقت مشيئة أي عبد يشاء شيئا يريده، فالله يوفقه طالما كان من تلك الفئات التي ذكرتها، فتحرّ أن تكون منهم.

أما قول [بإذن الله] فإليك البرهان التالي من كتاب الله تعالى:.

1. {قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } البقرة97 . فهل كان للنبي دخل في تنزيل الله للقرءان عليه من دون الناس؟.

2ـ {.... وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ } البقرة102، فلو كانت للساحر إرادة مطلقة على الناس لاستطاع أن يضُر، ولشارك الله في ملكه، ولفسد عدل الله لتدخل السحرة بالأمر، لكن الله هو من يأمر، فينفُذُ في هذا المرض أو السحر، ويمنع عن ذاك وهكذا، وكل ذلك بعدله سبحانه.

3ـ {.... قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } البقرة249، فالفئة القليلة المؤمنة تغلب دوما أية قوة أخرى؛ لأن الله كتب ذلك على نفسه، فهو من قوانين الله في أرضه [ولينصرن الله من ينصره] ...[كتب الله لأغلبن أنا ورسلي].

4ـ {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ

وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } البقرة251؛ فقد يكون الفعل لك، لكن النتيجة في الأمور التي جعل الله إذنه فيها هو الأمر الذي يجعل منك مجرد أداة لنفاذ قدر الله.

5. {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } آل عمران49؛ فسيدنا عيسى لم ولن يحيي الموتى أبدا، لكنه قدر الله فيه، ليكون إحياء الموتى وسيلة الله لهداية خلقه.

6. {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ } آل عمران145؛ ألم يسأل أحد نفسه: لماذا يكون الأجل مؤجلا ولا يكون محددا؟، إنه قانون الله الذي أذن بأن من يعتني بصحته ويأخذ بأسباب العلم فإن الله يسمح بأن يطيل عمره، وهذا سر زيادة متوسط الأعمار بعد المكتشفات الغذائية والطبية.

7. {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ } آل عمران166؛ لأن الإصابات بيد الله [وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى].

8. {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً } النساء64

9. {الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } الأنفال66.

10. {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ } يونس100.

11. {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ } الرعد38 .

12. {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } إبراهيم11.

13. {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } فاطر32 .

14. {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ } غافر78 .

15. {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } المجادلة10 .

16ـ {مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ }5الحشر .

17. مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ{ التغابن11}.

فهل لاحظ القارئ انعدام دور للفرد أو صوريته بشأن كل ما ورد، حيث يكون للفرد دور هامشي لكن النتيجة دوما بيد الله، مثل قوله تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } الأنفال17؛ فيعني ذلك أن الإصابة بقدر الله، والقتل من الله، وعلى ذلك فالنصر والهزيمة يكونان بإذن الله، وما دور الفرد إلا دور هامشي لتنفيذ مراد الله.

وأكتفي بهذا القدر لأبرهن به على ذلك التخريج، فإذا كنت ستقوم بشيء غدا بنفسك فتقول إن شاء الله، أما إن كان الأمر لا يد لك فيه، كأن تنتظر غائبا لا تعرف موعد حضوره، فتقول يحضر اليوم بإذن الله....وهكذا.

ثالثا:. الفرق بين العدل والقسط.

أما كلمتا العدل والقسط فهما أيضا ليستا مترادفتين لمعنى واحد، وهو كما سيأتي بيانه:-

فالعدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، والعدل ما قام في النفوس أنه مستقيم، والعدل هو الحكم بالحق ولقد جاءت كلمة العدل في القرءان بمعان مختلفة:-

1ـ بمعنى الاستقامة لقوله:- { ..... وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً } النساء58.

2ـ بمعنى الفدية لقوله تعالى:- {وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ } البقرة123؛ وقوله تعالى:- { .... وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ } الأنعام70.

3ـ بمعنى الإشراك بالله لقوله تعالى:- {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ } الأنعام1.

4ـ بمعنى المساوي أو المثلية لقوله تعالى:- { .... أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ } المائدة95.

أما القسطاس فهو أعدل الموازين وأقومها، والقسط هو الحِصَّة أو النَّصيب، ويقال تَقسَّطوا الشيء بينهم أي تقاسموه

وأخذ كُلّ منهم نصيبه، ومن أسمائه . سبحانه وتعالى . أنه المقسط، أي الذي يمنح بحكمة، فعلى ذلك البيان فإن للكلمة معاني متعددة في القرءان الكريم، نذكر منها ما يلي:-

1. تأتي الكلمة بمعنى الدِّقة في الكيل والميزان، حيث يقول تعالى:- {وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ } الشعراء182؛ وأقسط بسكون القاف تعني أدق في العدالة، لقوله تعالى:- { .... فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } الحجرات9؛ والإقساط هو العدل في التسمية.

2ـ والقَسط بفتح القاف يعني الجور، لقوله تعالى:- {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً} الجن15.

الأمر الذي نخلص منه أن العدل يكون في الحكم، وأن القسط يكون في تنفيذه، وفي أداء الحقوق، وآية اختلاف المعنى والدلالة تكمن في أن الكلمتين جُمعتا في آية واحدة في كتاب الله بما يدل على اختلاف المراد من المعنى لكل منهما، فيقول تعالى:- {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } الحجرات9؛ فهل يستساغ المعنى ليكون فأصلحوا بينهما بالعدل واعدلوا !؟، من هنا وجب التعامل مع كتاب الله بدقَّة المسلم الواعي المتدبِّر الحريص على دينه.

ولأسفي فإن التفاسير القديمة لم تمايز بين الكلمتين، فها هو تفسير ابن كثير يشرح تلك الآية، ولا يفرق بين الكلمتين، فيما نص عليه بتفسيره حيث ذكر ما يلي:

[وقوله: { فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } أي: اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض، بالقسط، وهو العدل، { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا عبد الأعلى، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب (1) ، عن عبد الله بن عمرو؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن، بما أقسطوا في الدنيا".

ورواه النسائي (2) عن محمد بن المثنى، عن عبد الأعلى، به (3) . وهذا إسناده جيد قوي، رجاله على شرط الصحيح.

وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلُوا".

ورواه مسلم والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة، به (4)**]**؛ انتهى الاقتباس من ابن كثير، **فهل لاحظ القارئ ما ذكره ابن كثير**

[بالقسط وهو العدل] بالسطر الثاني من شرحه الذي يعتمد فيه الترادف، مما يُفقد القرءان أهدافه التي نزل بها.

لذلك ما أحوجنا لتفسيرات عصرية متجددة يبرز فيها التطور المعرفي للبشر، ليؤكد أن القرءان دوما في حالة بكارة، وأنه دوما صالح لكل زمان ومكان، وأن لكل جيل بصمته المتفردة التي تؤكد صدارة الإيمان في القلوب.

رابعا: الفرق بين الرؤية والنظر والبصر.

هنـــاك مـــن لا يُـــدركون الفـــرق بـــين الكلمـــات الـــثلاث (نظر/بصـر/رؤية)، ونشـأ عـن ذلـك فسـاد كثيـر مـن آراء المفسـرين حـول آيـات كتـاب الله، وفسـاد كثيـر مـن عناصـر ومعـاني الـدعوة إلـى الله، ونظـرا لأهميـة الأمـر، ولِعظَـم مسـئولية الإنسـان تجـاه نعمـة الله عليـه فـي البصـر، حيـث قـال تعـالى: (قـل هـو الـذي أنشـأكم وجعـل لكـم السـمع والأبصـار والأفئـدة قلـيلاً مـا تشـكرون) الملـك؛ فإننـا سنجول في سياحة قرءانية للوقوف على الفرق بينها.

يقول . سبحانه . في الآية السادسة والثلاثين من سورة الإسراء:(إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً). فيعني ذلك ضرورة الوقوف تحديدا على مهمة البصر وما يعنيه الله بقوله بمسئولية الإنسان عن البصر ومسئوليته عن شكر نعمة الله عليه فيه.

فالرؤيـة تكون فـي غالبيتها ناشئة عن النظر، لكن ليست كل رؤية من النظر، فقد تكون الرؤية غير إراديـة، كرؤيـة الفكر لـرأي مـا، أو كمـا يشـاهد الإنسـان رؤيـا مناميـة، وهنـا تكـون رؤيـة إدراكيـة دون نظـر ودون بصـر، وقـد تكـون الرؤيـة إراديـة دون نظـر، وذلـك حـين يسـتدعي الإنسـان مشـهدًا فـي ذهنـه، فيعيـده علـى نفسـه كـي يـراه. وقـد يصـاحب الرؤية إدراك، وقد لا يصاحبها إدراك، وفقا للحالة التي يكون عليها العقل من استعداد لترجمة المرائي.

أمـا النظـر فيكـون بـالعين، وقـد يكـون إراديـا وهـو الغالـب، وقـد يكـون غيـر إرادي، وذلـك نـادر الحـدوث، والنظـر قـد ينشـأ عنـه رؤيــة، وقـد لا تنشـأ عنـه رؤيــة، فالنــاظر والمحملـق فــي الظــلام لا يـرى، ومـن ينظـر إلـى مسـافة أبعـد مـن قـدرة نظـره لا يـرى، ولـيس كـل نظـر ينشـأ عنـه رؤيـة فيـنجم عنـه بصـر، فقـد ينظـر عـابر الطريـق إلـى السـيارة ومـع ذلـك لا يـدرك خطـورة الأمـر (أي لا يقـع منـه الأمـر موقع البصر) فيتأذى بعبوره الطريق.

أمـا البصـر فهـو مرحلـة التكامـل الـوظيفي بـين النظـر والرؤيـة والإدراك، لذلك فإن المولى ـ عز وجل ـ حين قال: [وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم] كان يعني النظر الإرادي الذي تنشأ عنـه رؤيـة وإدراك للمرائـي، أمـا النظـر العـادي والنظـر العـابر ونظـرة الفجـاءة فكلها مباحة، وليست منهي عنها، لذلك فإننـا لا نتكلـف غض البصر في حياتنـا العاديـة، لكـن نكلـف بـه أنفسـنا حـين يكـون الـنهم النفسـي للنظـر مخالفا لرضوان الله، كمثل من يتجسس، أو من يختلس النظـرة كـي يـرى مـا لـيس لـه بحـق أن يـراه، فـذلك يجـب تـرويض الـنفس لتخفيضـه، ولأن الإبصار هو تكامل بين الرؤية والنظر والإدراك، فإن الله ـ تعالى ـ قال عن ذاته العلية سبحانه: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } الأنعام103.

ولكي تدرك ضرورة تطوير منظومة تفسير القرءان، فإننا نستعرض ما ورد بالتفسير الميسر عن الآية السابقة، حيث ذكر صاحب التفسير الميسر: [(لا تدركه الأبصار) أي لا تراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} وحديث الشيخين "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر" وقيل المراد لا تحيط به (وهو يدرك الأبصار) أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر ولا يدركه أو يحيط به علما (وهو اللطيف) بأوليائه (الخبير) بهم **]، فتدبر كيف تم الخلط بين الرؤية والبصر والنظر لعدم توافر العلم بالتباين.**

ويتطبيق القواعد السابقة على آيات كتاب الله فإننا نجد أن قول موسى (عليه الصلاة والسلام) لله تعالى، فيما سطره كتاب الله بقوله سبحانه: {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} الأعراف143.

فعبارة (أرني أنظر إليك) تعني أنه كان يريد رؤية الله بعيني رأسه، وليس مجرد رؤية أو رؤيا، ولعلم سيدنا موسى بأن الله لا تدركه الأبصار فلم يسأل الله أن يبصر، لكنه اكتفى بطلب الرؤية والنظر.

وقولـه تعـالى: {وَإِن تَـدْعُوهُمْ إِلَـى الْهُـدَى لاَ يَسْـمَعُواْ وَتَـرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ} الأعراف198.

يعني أن الله وقد جمع (الرؤية والنظر والبصر) في آية واحدة، ويعني أن الحملقة قد لا ينشأ عنها بصر، فالبصر يعني الإدراك الذي لا يتوفر لكل ناظر. ومن ذلك يقول تعالى: {وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ } يونس43؛ بما يعني أن الهداية تحتاج النظر الفكري والبصيرة الفكرية أكبر من احتياجها لنظرة العيون، وسوف نعود لاحقا لنضرب المثل بتفسير ابن كثير عن هذه الآية بالذات لنؤكد أهمية عدم وجود ترادف في القرءان.

وفيما يلي سرد للآيات التي ورد فيها كلمة نظر أو رؤية أو بصر سواء تم الجمع بينها أو بعضها أو لا، وسواء أكانت تعني الرؤية والنظر بالعين أو غير ذلك.

1. تعبيرات متداخلة في آية واحدة.

أ . يقول تعالى: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ} الأعراف198. فتداخل بالآية تعبير الرؤية والبصر والنظر معا.

ب . ويقول سبحانه وتعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ

سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} الصافات102. فتداخل بالآية لفظا النظر والرؤية فقط.

ج . ويقول تعالى: {وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ} يونس43. فتداخل بالآية لفظا النظر والبصر فقط.

د . ويقول تعالى: {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } الأعراف.143

2: كلمة (انظر).

أـ يقول الله تعالى{انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً } الإسراء48. فهي هنا بمعنى تروّى وتعلَّم.

ب . {اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ } النمل28. وهنا بمعنى انتظر وراقب.

ج . {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } المائدة75. وهنا بمعنى تعلّم.

د . {... فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }البقرة259. فهي في سياق الآية تعني النظر بالعين.

3: كلمة (ترى).

أ . يقول تعالى: {وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} المائدة62. فهي هنا بمعنى الرؤية المعنوية الوجدانية.

ب . {تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ } المائدة80.

ج . {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } المائدة83. فهي رؤية فعلية أحيانا وتوقعية أحيانا أخرى.

د . {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ } الفيل1. فهي هنا بمعنى تَعلَم.

هـ .{يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } الحج2. فهي رؤية فعلية وحقيقة حتما واقعة.

و .{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} الزمر60. فهي رؤية فعلية.

4: كلمة (بصر).

أ . يقول سبحانه: {قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ} الأنعام104. فكلمة بصائر تعني (دلائل)، ومن أبصر تلك الدلائل أي اعتبر يها وتفهمها.

ب . {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} الأعراف179.

ج . {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} يونس67.

د . {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ } الملك4.

هـ . {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ } الحاقة39_38.

وسأضرب المثل للقارئ بأهمية هذه الدراسة لتطوير علم تدبُّر القرءان بأدوات وإدراك عصرنا، حيث ورد بتفسير ابن كثير عن قوله

تعالى: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ}الأعراف198؛ ما نصه الآتي:.

[قوله: { وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ } كقوله تعالى: { إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (4) } [فاطر:14].

وقوله: { وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ } إنما قال: { يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ } أي: يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة، وهي جماد؛ ولهذا عاملهم معاملة من يعقل؛ لأنها على صور مصورة كالإنسان، [فقال] { وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ } فعبر عنها بضمير من يعقل]. **انتهى الاقتباس من تفسير ابن كثير.**

فتدبر ـ رحمك الله ـ كيف كان العلم القديم، وكيف أن ابن كثير كان يدور في فلاة لا يدرك أبعادها، فما فرّق بين رؤية ونظر وبصر، بل توسع في شرحه لمناطق بعيدة عن هذا وإن كانت في سياق الموضوع الذي كان يحاول شرحه.

وفي تفسير الشيخ سيد طنطاوي عن ذات الآية ننسخ منه ما خطه فيها فيما يلي: [وقوله { وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ} بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع، أى : وترى هذه الأصنام كأنها تنظر إليك بواسطة تلك العيون الصناعية التي ركبت فيها

ولكنها في الواقع لا تبصر لخلوها من الحياة، وبذلك تكون هذه الآيات الكريمة قد وبخت المشركين وآلهتهم أعظم توبيخ]. **انتهى الاقتباس من تفسير سيد طنطاوي.**

فتدبر كيف خلط بين الرؤية والنظر، وكيف أنه تصور أن البصر متعلق بالحياة، وكأن كل حي يمكنه أن يُبصر، فجاء تفسيره بلا قدرة علمية تمد القارئ بعلم يفرق فيه بين الرؤية والنظر والبصر الواردين بالآية، وهكذا نهج كل التفاسير التي نستظل بها ولا نريد أن يكون لجيلنا توقيع في تفهم القرءان ليخرجنا من شرنقة الجمود، ووقف الاجتهاد ومحاربة المفكرين.

لكن مما يهمنا أن نخلص إليه أن هناك تكاملاً وظيفيًا بين العين والدماغ للقيام بعملية الإبصار، ومما يعينني من علم الآخرين أستعير بعض العناصر التالية:

نظر بلا رؤية! أو رؤية بلا نظر!.

بناء على الحقائق الأساسية السابقة فإن عملية الإبصار لا تتم إذا انعدم أحد شقيها.. ولكن الشق الذي يتم أداؤه يأخذ شكل ظاهرة غير

مألوفة لأنها تمثل عملية فسيولوجية ناقصة، والظاهرتان المحتملتان نتيجة لهذا الانفصال الأدائي بين العين والمخ هما:

1. النظر بلا رؤية: وهنا يحدّق الناظر بعينين سليمتين مفتوحتين في الجسم الموضوع أمامهما ـ مغموراً في الضوء ـ ولكن الناظر إذا سئل عما أمامه لأنكر أن أمامه شيئاً على الإطلاق (وهو في ذلك صادق، لأنه بالفعل لا يبصر شيئاً بسبب عدم قيام مركز الإبصار بعمله في وقت النظر).. والنظر بلا رؤية ـ وبالتالي بلا إبصار ـ يحدث عندما يكون الناظر شارد الذهن، أو في حالة رعب شديد مفاجئ، أو واقعاً تحت تأثير الخمور أو المخدرات... فكل هذه تسبب عطلاً مؤقتاً لخلايا المراكز العصبية في المخ (بما فيها مركز الإبصار).. والنتيجة هي حالة عمى مؤقت يزول بزوال أسبابه. أما إذا أصيبت خلايا مركز الإبصار بتلف عضوي فالنتيجة هي العمى الدائم (على الرغم من سلامة العينين).... والعمى الدائم يمكن أن يحدث أيضاً رغم سلامة العينين وسلامة مركز الرؤية أيضاً وذلك في حالة تلف العصب البصري، والسبب في هذه الحالة هو أن عملية الإبصار تتوقف عند الحد الفاصل بين النظر والرؤية (أي أن الصورة الواقعة على الشبكية لا تجد ما ينقلها إلى مركز الرؤية).

وحالات النظر بلا رؤية معناها عدم القدرة على الإبصار بسبب انعدام الركن الفعلي أو الإدراكي وهو الرؤية... تماماً مثلما أن الصورة

الفوتوغرافية تظل خافية على الفيلم الخام ما لم يتم (تحميضه).] وبالمناسبة هذه العملية التي نسميها (تحميضاً) يطلق عليها في لغات أخرى غير عربية اسم آخر أكثر دقة في التعبير عن طبيعتها هو (development) بالإنجليزية أو (entwicklung) بالألمانية، ومعنى الكلمتين بالعربية هو تكوين.. وهو نفس اللفظ المستعمل علمياً في جميع اللغات للتعبير عن عملية تخليق الجنين في ظلمات الرحم].

2ـ الرؤية بلا نظر: وهي تحدث نتيجة عطل في عضو النظر (العين)، أو عضو نقل الصورة (العصب البصري) أو كليهما، بشرط بقاء المراكز العصبية (وأولها مركز الإبصار) سليمة عضوياً ووظيفياً، والرؤية بلا نظر يمكن أن تحدث أيضاً رغم عدم وجود ما يمكن النظر إليه أصلاً.. وذلك باستحضار بعض المشاهد القديمة من الرصيد المخزون من عمليات إبصار سابقة، وهذا يدخل في باب (أحلام اليقظة).. قياساً على الأحلام التي (نراها) أثناء النوم.

وللتعليل على انعدام ركن النظر (وبالتالي انعدام أهمية العين) في هذه الأحوال، يكفي أن أذكر بأن استحضار المشاهد القديمة يتم بصورة أفضل إذا أغمض المرء عينيه. لأنه عند فتح العينين فإن ما تقعان عليه من (منظورات) تتداخل صورها مع الصور التي يستحضرها

المخ (وهي مجرد مرئيات)... ولهذا يحدث (تشويش) على مركز الرؤية.

ولننتبه إلى تأثير ما سبق على تفسير القرءان، وعلى أرض الواقع، فقوله ـ تعالى ـ بسورة النور:{ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ{30} وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ....{31}؛ فالأمر لا يعني إغلاق عيون النساء عن الرجال ولا الرجال عن النساء، لكن الأمر يعني النظر العمد والمُحرّم بين الطرفين، فكل منهما يريد أن يُبصر شيئا في الآخر، وذلك هو البصر المنهي عنه، أي نظر مع إدراك العقل للمرئيات المنظورة بالعين فيما حرَّم الله، وعلى ذلك فما نراه من سلوك الفتيان والفتيات بالجماعات الإسلامية حين يُكلم أحدهما الآخر، فإني أجدهم يغُضّون طرف نظرهم، بينما لا توجد بينهما شهوة أو حتى مجرد الفكرة فيها، لكنهم ينفّذون فكرا عن البصر بيد أنهم ينفذونه في النظر.

كذلك حين قال ـ تعالى ـ بسورة القمر: { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ{1} وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ{2}؛ فقال ابن كثير في تفسيره نقلا عن ابن حنبل بمسنده ما يلي: [قال: انشق القمر على

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر].**انتهى الاقتباس من ابن كثير الذي دمج بعدها تفسيره للآية الثانية { وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ{2} فكأنه يريد أن يفهم الناس أن المعنى الذي تعنيه الآية رقم (2) هو انشقاق القمر الوارد بالآية رقم (1)، وهذا برأيي تدليس سنتناوله من وجهة معنى كلمات [اقتربت، انشق، يروا، آية] وذلك فيما يلي:-**

فحين يتكلم القرءان عن أحداث الساعة فإنه يوردها، وكأنها حدثت بالماضي بما في ذلك انشقاق القمر وليس انشطاره، فالشق غير الشطر، حيث كان يمكن لله أن يقول [وانشطر القمر] حتى يكون الجبل بين فرجتي القمر كما زعم ذلك ابن حنبل وابن كثير، مما يشكك في كثيرا بالروايات الواردة بهذا الصدد.

والفعل الماضي عن أعمال سترد بالمستقبل وردت بمواضع كثيرة جدا بالقرءان، منها مثلا قوله تعالى: {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }الزمر69؛ **فلا يمكن أن ينصرف أمر انشقاق القمر للماضي أو أنها حدثت على عهد رسول الله الذي كانت معجزته فكرية ولم تكن مادية.**

وكلمة (يروا) لا تعني النظر ولا البصر، لكن تعني الإراءة، بما يعني فرضية أن يروا آية، ولن يريهم الله آية، لأن آية رسول الإسلام

هي القرءان، لذلك جاءت كلمة (آية) ـ وهي التي لن تحدث ـ منكرة، فهي بهذه الصورة لا تتعلق بواقعة انشقاق القمر، فلو كانت متعلقة بانشقاق القمر لقال تعالى: وإن يروا الآية، فيعرِّفها بأداة التعريف (أل)، لكن ورودها منكرة تعني (أي آية).

كما أن تعبير (إن يروا) فعل مضارع يفيد المستقبل، فلو تعلقت الآية الأولى بالثانية لكانت الآيتان تعبران عن أحداث الساعة بالمستقبل.

ننتهي مما سبق إلى أن تذوق الخطاب القرءاني لا يكون باستسهال القول بالترادف أو النسخ بلا دراية بأمور كثيرة، بل بالكد والجهد حتى نتمكن من فهم الخطاب القرءاني، وبضرورة إصدار تفاسير من فكر جيلنا، وكل جيل، ويستخدم فيها أدوات كل عصر، حتى ندرك المرامي القرءانية، وحتى يكون التذوق مستساغا لأهل كل عصر.

خامسًا:- القلب والفؤاد.

ومن ضمن الإشكاليات بين حقيقة اللغة واستخداماتها ما ظنه الناس في كلمتي القلب والفؤاد أنهما بمعنى واحد، وهنا يجدر الإشارة إلى أن ورود الكلمتين في القرءان كان لاستخدامات مختلفة ومعان مختلفة فقد جمعهما القرءان في آية واحدة، فقال: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } القصص10.

فالفؤاد هو موطن استقبال وإدراك الأحاسيس ووعاء تخزين المعرفة المادية المكتسبة بواسطة الحواس، فالعين تنظر، لكنها لا تُبصر، والأُذن تسمع، لكنها لا تعي، لكن الذي يدرك ويعي هو الفؤاد، ودوما يكون ذكر الفؤاد في القرءان بعد السمع والبصر، فيقول تعالى:- {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } الملك23؛ والمجنون يرى ويسمع، لكنه لا يعي.

والفؤاد هو موطن اليقين القاطع، وذلك من قوله تعالى:- {وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } هود120.

والأفئدة هي المراكز الحسِّيَّة في الجهاز العصبي المركزي، أما الفؤاد فهو الجزء الخلفي من القشرة المُخِّيَّة التي تشمل الفص القَفَوي والصَّدغي والجداري لمنطقة المخ، وبه يتم وعي وإدراك الإشارات القادمة من الحواس.

أما القلب فهو مقر اتخاذ القرار بعد فقه الأمور، فيقول تعالى:- {...... لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا ..... } الأعراف179.

ويقول تعالى:- {رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ} التوبة87؛ والقلب متصل بالغيب وحيا أو إلهاما، وذلك لقوله:- { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ{193} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ{194} الشعراء؛ وقوله تعالى:- { .... فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }الصف5؛ والقلب هو موطن الإيمان أو الكفر، وموطن نوازع النفس، ومبتدأ النوايا والأعمال الإرادية.

ومكان القلب هو صدر الدماغ، أما القلب المتعارف عليه بين الناس وهو القلب العضلي، فذاك ليس بمقصد القرءان، لأنه من الأحشاء، وليس في مقدمة الجسم، لأن صدر أي شيء هو مقدمة أوله، (راجع لسان العرب الجزء الرابع ص2410 طبعة دار المعارف).

فحين يقول تعالى:- {.......... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } الحج46؛ لا يدل ذلك على القلب الموجود بالقفص الصدري، إنما كلمة الصدور تعني أول الجسم وأعلاه فذاكم هو صدر الجسم وأوله، فإذا كان الأصل في الإنسان أنه قائم فإن أوله وصدره ومقدمته تكون في جبهته، وهى جزء من الدماغ، وآية ذلك ما

جاء بالقرءان {........ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ } آل عمران118؛ يعني ما تخفي أدمغتهم أكبر.

والخلاصة في هذا الصدد، أن القلب هو موطن اتخاذ القرار، ويستمد قراره من إدراك الفؤاد للأحاسيس الواردة له من الحواس، وهو بمقدمة الدماغ، أما اتخاذ القرار فهو شأن القلب الذي هو مؤخرة الدماغ.

ومن عجيب غالبية أمَّتنا الإسلامية التي لا تستفيد من تجارب وأعمال الآخرين، أن كل ما سبق بيانه عن القلب والفؤاد، كان الحافظ الترمذي . وهو من علماء القرن الثالث الهجري . قد كتبه في كتاب منذ أكثر من ألف ومائة سنة، وتم حفظ مخطوطته في دار الكتب المصرية منذ أكثر من خمسة وسبعين عاما، وبمكتبة لندن صورة من هذا الكتاب، وحققه الأستاذ الدكتور/أحمد عبد الرحيم السايح منذ عدَّة سنوات، لكن أغلب الدُّعاة لا يقرءون والفقهاء لا يطَّلعون، حتى نظل على ما نحن فيه، نظن أن القلب هو الفؤاد، ونطرب حين تُغنِّينا سيدة الغناء العربي(يا فؤادي لا تسل أين الهوى)، وحين يُغنِّينا عبد الحليم حافظ (على قد الشوق اللي في القلب) مع أن الشوق يكون في النفس، لكن ليس المهم أن نعلم، لكن المهم أن نطرب، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

سادسًا:- الوحدانية والأحدية.

يخلط الكثير، فيظن أن سورة الإخلاص حين تبدأ بقوله تعالى:- {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}الإخلاص1؛ فيظنون أنها تعني أن الله واحد، أو أنها تعني ما يسمونه علم التوحيد، وهو من أمور الارتجالية وعدم الاهتمام بالدين في أهم خصائصه وهو العقيدة، ولقد كان من الواجب على المسلم التفرقة بين الوحدانية والأحدية.

فالوحدانية تعني أن الله واحد، وهو ما ورد في قوله تعالى:- {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } محمد19.

أما الأحدية فتعني تفرُّد الله في الصفات التي لا شبيه لها ولا مكافئ ولا ند، بما يعني أن قوله تعالى:- {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} الإخلاص1؛ يكون مقصده (قل إن الله لا مثيل له ولا شبيه ولا ند ولا مكافئ)، وهو ما عناه الله بقوله:- {........ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } الشورى11.

فعلى ذلك فإن سورة الإخلاص تعني كمال الله في ذاته وصفاته وتفرُّده، فلا يُقارن الله بأحد، ولا بشيء، ولا بالآلهة المصطنعة، لأنه Ψ لا ند ولا شبيه له.

أما الوحدانية فتعني أنه لا شريك له في مُلكه، فهو صاحب الألوهية، وهو الخالق الأوحد، وهو المالك الأوحد بلا منازع، وهو الحاكم الذي لا يُشرك في حُكمه أحدًا، حيث يقول تعالى:- {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }النمل26؛ ويقول تعالى:– {إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً } طه98.

أما ما يطلق عليه اسم علم التوحيد، فهو برأيي من المقولات غير المنضبطة التي ابتلينا بها على يد من بلانا، لأن التوحيد يعني توحيد الأجزاء أو الأفرع، وهو يناسب ما تقول به النصارى (باسم الآب والابن والروح القُدُس إله واحد آمين)، فهو عندهم إله واحد ولكن في أقانيم ثلاثة، بذلك فهم يقومون بتوحيد الأجزاء، فهل نعيش بأفكارهم ونقول (علم التوحيد) ولا ننتبه؟؟؛ أرى أن نقول علم الوحدانية، أو الأحدية، لكن لا يجب أبدا أن نقول علم التوحيد، لكن مع قناعة كل من يقرأ هذا فإن علمي سيندثر، وسيبقى القديم رغم أنف كل المصلحين والمجددين، وما ذلك إلا لدين الآبائية الذي نمارسه.

وقد دوَّن ابن منظور في كتابه لسان العرب بالجزء السادس ص4782 ما يلي:[أما قول الناس: توحد الله بالأمر وتفرد، فإنه ـ وإن كان صحيحا فإني لا أحب أن أتلفظ به في صفة الله تعالى في المعنى إلا بما وصف به نفسه في التنزيل أو في السُنَّة.....وفي الحديث (إن الله لم يرض بالوحدانية لأحد غيره...)]، لذلك أرى تغيير اسم علم التوحيد، ليكون علم الوحدانية أو الأحدية.

أما ما جاء بكتاب البخاري تحت عنوان كتاب التوحيد، فالبخاري ـ رحمه الله ـ لم يكن عربيا، فلم يتمكن أن يُفرّق بن الوحدانية والتوحيد، لذلك يجب علينا ألاّ ننجرف خلف كل قديم.

سابعًا:. الفرق بين الأب والـوالد، والأم والوالدة.

وقـد يجـدر بـي أن أسـطر الفـرق بـين الأب والوالـد، فـالأب فـي القـرءان يُـراد بـه - فـي غالـب النصـوص - الجانـب الخُلُقـي فـي الإنسـان، لمـا لـه مـن تـأثير تربـوي فـي التنشـئة والسـلوك، أمـا الوالـد فيُـراد بـه الجانـب العـاطفي ومالـه مـن تـأثير روحـي مُـراد فـي صـلة الأرحـام، فـالأب لـيس بالضـرورة أن يكـون الوالـد، وإنـه فـي حالـة مـوت الوالـد والوالـدة يُطلـق علـى الجَـد والجَـدَّة لقـب الأبـوين؛ لأنـهمـا يتوليـان زمـام التربيـة والنشـأة بـدلا مـن الوالـدين الـذين توفيـا، والولـد يحمـل مـن الصـفات الوراثيـة لوالـده ولا يحمـل تلـك التـي تكـون لـلأب (وذلك في حالة وفاة الوالد).

لكـن الأمـر مختلـف بالنسـبة لـلأم؛ لأن مسـئوليتها فـي التربيـة مسئولية فرعيـة، فاختصاصـها الأساسـي يكمـن فـي الرعايـة، لـذلك فـإن القرءان حين يذكر كلمـة الأم يعنـي الأم التـي ولـدت الطفل، فيقول تعالـى: {خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } الزمر6؛ وقد تكون الأم أُمًا شرفية للتحريم مثل زوجات النبي، فهن أمهات للمؤمنين بنص قرءانـي، وللأمومـة فرع أبوي يلزمهـا أن تربـي أولادهـا، فـإن لـم تقم بهذه المهمة تحول حق الإرث المخول لها لمن قامت علـى تربيـة الابن، وهو ما سيأتي تفصيل بيانه.

والفرق بين الوالد والأب يترتب عليه أن نعلم بأن البر المفروض علينا من الله يكون للوالدين، وإن لم يربياني وإن لم ينفقا عليَّ، تماما كشأن ما تم بين سيدنا إبراهيم وإسماعيل، فقد كان بر سيدنا إسماعيل لوالده دون أن ينفق عليه والده أو يربيه، لذلك يقول تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً } الإسراء23.

وحين يتغير لدينا مفهوم معنى الأبوة والأمومة فينبني عليه تغيُّر في مفهوم من يرث ومن لا يرث من الوالدين، ولذا يجب التفرقة حين إدراك اللفظ القرءاني بين (الوالد والوالدة والأب والأم) بمعنى أن الوالد أو الوالدة أو هما معا طالما قاما . أو أحدهما . بواجب الرعاية والتوجيه والتربية والإنفاق، فإنه يحق لهما أن يرثا ذلك الابن إن توفاه الله قبلهما، أما الذي جحد ولم ينفق ولم يرب وهجر أبناءه فليس له حق في الميراث، ويذهب حق الميراث لمن ربَّاه وقام على رعايته، وفي ذلك يقول تعالى: {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً } النساء11.

أما ذلك الوالد أو الوالدة اللذان جحدا صغيرهما، وتركاه ولم يقوما بواجب الرعاية والتربية فليس لهما حق إرث في تركة ابنهما

الميت، لكن يمكن له أن يوصي لهما قبل موته، ويمكن أيضا لورثة ذلك الابن من زوجته أو أولاده أن يعطوا بعضا من التركة للوالدين تفضلا منهم عليهما، وكل ذلك وارد في قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ}البقرة180؛ وقوله تعالى: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً }النساء8.

فهكذا نجد فوارق وحدودًا بين لفظي والد وأب، وبين والدة وأم، وهو ما يمكن أن ينبني عليه ـ حال التحقق وبعد التحقيق ـ تغيير في علم المواريث المعمول به الآن.

لذلك أهيب بمجامعنا الفقهية التدخل في هذا الأمر لتحقيق مبدأ مسئولية الوالدين في رعاية صغيرهما، وتحقيق التمايز بين أولئك الجاحدين من الآباء والأمهات وغيرهما من أصحاب السوية الذين لم تتلوث فطرتهم بجحود شيطاني لأي سبب كان، وحتى نؤصِّل شرف رعاية الطفولة لمن يقوم بها فلا تتكدس الملاجئ بأبناء لا يجدون الأبوّة والأمومة لعلّة الجحود، وحتى يعلم الناس بأن حق الإرث ليس جائزة لبذل الشهوة لإنجاب الأبناء.

ثامنًا:. الفرق بين أتـى وجاء وحضر وأقبل.

ومما يُظنُّ به التَّرادف وهو ليس بترادُف كلمات (أتى وجاء وحضر وأقبل)، فالإتيان أمر تُحيط به هالة من الشك، والغموض، والجهل، والتكذيب، والغيب، وعدم القصد.

أما المجيء فتحيط به ثُلَّة من معاني الجلاء، واليقين، والعلم، والتصديق، وتحقق الوقوع، والقصد، مثل قوله تعالى:- {وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ....} يوسف19؛ بما يعني الحضور الفعلي، أما الإتيان فمثل قوله تعالى:- {أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}النحل1؛ وقوله سبحانه: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } البينة1؛ راجع [الترادف في القرءان الكريم بين النظرية والتطبيق طبعة 1997 ص 151 لمحمد نور الدين المنجد].

فالإتيان يكون لأمر حدث، لكنه قد يكون غير منظور على أرض الواقع، أما المجيء فهو التحقق من الإتيان، لذلك يقول . سبحانه وتعالى . عن أحد أحداث وحقائق يوم القيامة: {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً } الفجر22.

ولقد جمع القرءان بين المجيء والإتيان في آية واحدة ونجد ما ذكرناه من فروق جليا، حيث يقول تعالى: {قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } الأعراف106؛ وقوله تعالى: {قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } الأعراف129؛ فمن يتدبر يجد الفرق بين اللفظين، فالمجيء واقع مؤكد أو أمر مصدق ومحتم، أما الإتيان فأمر خبري لا نعاينه واقعا ملموسا.

أمـا الحضـور مثـل قولـه تعـالى: {عَلِمَـتْ نَفْسٌ مَّـا أَحْضَـرَتْ } التكوير14؛ فهو يعني المجيء حتى وإن لم يعاينه الشخص بذاته؛ وقد ورد فـي القـرءان فـي غالـب الأمـر عـن حضـور المـوت، وحضـور العـذاب ومثلهما، والحضور هو أيضا مجيء الشخص نفسه أو عملـه، والحضور يكـون شخصيا فـي غالـب الأمـر، لكـن المجـيء يكـون فـي غالبـه مـن شخص أو شيء منفصل عنك.

ولنتخذ مثلا عن الفرق في مراد الله عن الموت في كلمة جاء وكلمة حضر، حيث يقول تعالى: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيـهِ مَـا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } البقرة133؛ وبين قولـه سبحانه: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ } المؤمنون99.

أما حضور المـوت فيعنـي بزوغ علاماتـه وهـو مـا حدث لسيدنا يعقوب حيث شعر بأن موتـه مؤكـد ومشـاهد ومحسوس، فجمـع أولاده، وقال لهم: [مـا تعبدون من بعدي]، أمـا مجـيء الموت لشخص فإنـه قد يكون وقع فعلا ومحتما، بل ودخل فـي سكراته، أي أن من جـاءه الموت يكون قد تجندل في سكراته، لكن حضور الموت معناه بـأن هنـاك برهـة لذلك التجندل في سكراته والدخول في معتركـه، وقانـا الله وإياكم سكراته وما يصاحبها من أمور.

ودليل آخر عقلي على أن مجيء الموت يعنـي الاحتضار، وذلك مـن قولــه تعـالى: {حَتَّـى إِذَا جَـاء أَحَـدَهُمُ الْمَـوْتُ قَـالَ رَبِّ ارْجِعُـونِ } المؤمنون99؛ فهو إخبار الله لنا بأن الكافر يقول حين يحضره الموت: [رب

ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت]، فلابد أن يكون لدينا يقين بأن كل كافر يقول هذا، لكن لن يسمعه أحد لأنه دخل في سكرات الموت، مما يدل على أن مجيء الموت يعني الدخول في سكراته، وبدء الانعزال عن أهل الدنيا، ولذا إن كانت الناس سيسمعون هذه المقولة من بضعة آلاف ممن يجيئهم الموت لكنا بصدد تزاحم على الدخول في دين الإسلام.

أما حضور الموت أي بداية علاماته فإنه يسع الإنسان أن يتكلم ويوصي، لذلك يقول الله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ } البقرة180، بما يعني وجود واجب لمن حضره الموت أن يوصي فيما يجب الوصاية فيه، بما يدل على عدم انعزاله عن الحياة رغم حضور الموت إليه.

وإنه من العسير عليَّ أن أذكر أن انتهاج كثير من الدعاة منهج وجود ترادف بالقرءان، وقل عدم تحديد الحدود الفاصلة بين معاني الكلمات بشكل لا لبس فيه، أن نشأ تحقق عند الكافرين بعدم صحة القرءان، إذ إنهم يرون موتاهم لا يقولون العبارة التي أوردها القرءان بسورة المؤمنون وهي: [رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت]، لكن إن كان قد تم التمييز بين الكلمتين (حضر وجاء) على النحو الذي أسلفنا ما تمكن أهل الكفر أن يتعللوا بعللهم.

أما كلمة أقبل فهي كلمة تستخدم غالبا للإخبار، مثل قول ربنا تبارك وتعالى: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ }الطور25؛ وقد تكون بلغة الأمر، وهي تختلف في ذلك وتتمايز عن كلمات (أتى وجاء وحضر)، مثل قوله تعالى: {...... يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ} القصص31.

والإقبال إن كان خبريا فهو يعني مرحلة ما بين الإتيان والمجيء، أي بزوغ علامات المجيء، مثل (أقبل الليل)، فهذا التعبير يكون في أول حضور الليل.

لذلك فإن إعادة بذل الجهد لتفسير القرءان تفسيرا عصريا تراعى فيه تلك الفوارق، سيحدث به اختلاف في تذوق معاني القرءان، ومنع رتابتها التي استفحلت فينا، نتيجة لتقيدنا وتقديسنا أعمال الأولين ونفورنا من أفكار المحدثين.

تاسعًا:. الشح والبخل.

فالشُّح هو منع الخير عامة، واعتياد منعه عن مستحقيه، وهو كامن في ذات النفس ومتمكن منها، أما البُخل فهو منع المال أو العطية، والبخل هو بعض من الشُّح وهو في ذات اليد، ويزيد وينقص ويتجدد، ويمكن للبخيل أن يتخلَّص من بُخله، أما الشُّح فلكونه راسخ في النفس فهو لا ينفك عنها إلا أن يشاء الله أن يُخلِّص الشَّحيح من شُحِّه، لذلك فالمولى ـ عزَّ وجل ـ يقول: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } التغابن16.

وعن اعتياد الشحيح منع الخير عن مستحقيه دوما، يقول تعالى: {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِالسنة حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} الأحزاب19.

أما البخل فهو منع المال أو العطية، فذلك من قوله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً } النساء37. فهم لا يكتفون ببخلهم بل ينصحون الآخرين أن يبخلوا.

ويقول سبحانه: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} آل عمران180؛ وعن

أنـه فـي بخـل العطيـة مـن ذات اليـد يقـول تعـالى: {فَلَمَّا آتَـاهُم مِّن فَضْلِـهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ } التوبة**76.**

لكن انظر لتفسير ابن كثير وهو لا يفرق بين الشح والبخل حين قام بتفسير قوله تعالى (أشحة عليكم) الواردة بسورة الأحزاب آية رقم 19، حيث يذكر ما يلي:[وهم مع ذلك { لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلا. أشحةً عليكم } أي: بخلاء بالمودة، والشفقة عليكم. وقال السُّدي: { أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ} أي: في الغنائم]. فذكر بأن الشح هو البخل بالمودة أو في الغنائم]، **وهو غير ملائم. وبتفسير ابن عباس ذات الأمر، فتجده يذكر: [**{ أَشِحَّةً عَلَى الخير } بخيلة بالنفقة في سبيل الله**]، ويقع الشيخ سيد طنطاوي بذات الخطأ في تفسيره، حيث يذكر: [**{ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ } ، جمع شحيح من الشح وهو البخل في أقبح صوره .**]**.

عاشرًا:. النَّصَب واللُّغُوب.

من بين ما يتصوَّره بعض الناس من الذين يقرءون القرءان ولا يستمتعون بحلاوة معاني ألفاظه والفروق بينها... كلمتا (النَّصَب و اللغوب)، فقوله تعالى:- {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}فاطر35؛ تجد فيه الفرق بين النَّصَب واللُّغوب، بينما تجد قارئ القرءان في حالة ذهول عن الفرق في المعنى بينهما، فالنَّصَب هو التَّعب، أما اللُّغوب فهو الفتور الذي يصيب المرء بسبب النَّصَب، فالنَّصَب هو كُلفة النَّفس، مثل قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً } الكهف62؛ فكلمة (نصبا) الواردة بالآية تعني (تعبا).

لكن الفتور هو النتيجة، وهو ما يُسمَّى باللغوب، ويسمى بالإعياء، وهو ما يناسب قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ}ق38، أي فتور أي يمكن لله أن يخلق مثلهم بلا فتور ولا إعياء، ولا يصح أن نقول لا يمسنا تعب، لأن التعب غير الإعياء والفتور اللذين يعنى بهما الإجهاد نتيجة التعب.

ونتيجة مباشرة لعدم اهتمام التفاسير القديمة بتوضيح الفروق في المعنى بين الكلمات تجد ابن كثير يدون بتفسيره عن تلك الآية ما يلي:[والنَّصَب واللغوب: كل منهما يستعمل في التعب، وكأن المراد ينفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم، والله أعلم. فمن ذلك أنهم كانوا يُدْئِبُون أنفسهم في العبادة في الدنيا، فسقط عنهم

التكليف بدخولها، وصاروا في راحة دائمة]، **فهل من المقبول أن نذكر بأن كلاً منهما يستخدم في التعب؟!، إنه تعميم لا يفي بالغرض.**

حادي عشر:. الفرق بين المخلَصين والمخلِصين.

هناك فارق ضخم بين كلمة المخلَصين (بفتح حرف اللام)، وكلمة المخلِصين (بكسر حرف اللام)، فكلمة المخلَصين (بفتح حرف اللام) تعني الذين خلَّصهم الله تخليص تشريف وتكريم ليَصلُحوا للقيام بالمهمة التي اصطفاهم لها، وهي النُّبوَّة أو الرسالة، وذلك من قوله ـ تعالى ـ عن سيدنا يوسف ε:- { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}يوسف24؛ وقوله ـ تعالى ـ عن سيدنا موسى ε:- {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً } مريم51؛ وهو اختيار اجتباء، وقد يكون تخليص جائزة نتيجة كثرة الإخلاص.

أما كلمة مخلِص (بكسر حرف اللام) فتعني البذل والجد والجهد والكد للوصول إلى الهدف، وذلك من قوله تعالى:- {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ } الزمر2؛ وقوله تعالى:- {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } الأعراف29.

نخلص مما سبق أن الأنبياء كانوا على درجة الإخلاص الممنوحة تكريما وتشريفا من الله، أما سيدنا محمد ε فإن إخلاصه كان وليد بذل وكد في سبيل الله، لذلك فلا عجب أن يكون مقامه يوم القيامة مقاما محمودا، يغبطه عليه كل الخلائق، ومن عباد الله من أكثروا الإخلاص حتى جعلهم الله من المجتبين.

ثاني عشر:. المطر والغيث.

ذكرت الكلمتان بالقرءان، وهناك من يظن بأنهما صنوان لمعنى واحد وهو نزول ماء من السماء، وهذا تصوّر بالاتجاه الخطأ، فقد خصص القرآن الكريم الغيث في سياقات النفع والخصب والخير،

وخصص المطر في سياقات العذاب والنكال، فلفظ الغيث يحمل معاني في الخير والعون، ولذلك يأتي في مواضع إظهار النعمة والمنّ بها على العباد، ومنها قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } لقمان34، وقوله سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ } الشورى28؛ فالغيث رحمة من الله ومنّة وفضل.

أما المطر فقد ورد – أسماء وأفعالاً – في خمسة عشر موضعاً في القرآن الكريم ، منها أربعة عشر موضعاً في العذاب والعقاب صراحة، ومن ذلك قوله تعالى: {..... وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً } النساء102؛ ولا يخفي من السياق السابق أن تعبير " أذى من مطر" غير موضع غيث، فالماء إذا زاد عن حدِّه صار هلاكاً كالفيضان والسيل، واقتران المطر بالمرض في السياق السابق يزيد الصورة وضوحاً، فهو موضع شدة ومشقة، وهذه الظلال تختفي لا ريب إذا كان اللفظ هو الغيث الذي يحمل معاني الفرج والعون والحياة. فلفظ

الغيث يحمل معاني في الخير والعون، ولذلك يأتي في مواضع إظهار النعمة والمنّ بها على العباد.

كذلك قوله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ}النمل58& الشعراء173؛ يؤكد في جلاء بأن ورود كلمة مطر تعني العذاب؛ ومن ذلك أيضا قوله سبحانه: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ } الأعراف84؛ ولعل ذلك المعنى يقوى عند القارئ بقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً} الفرقان40.

والمطر النازل من السماء قد يكون شيئا غير الماء، بل ورد ذلك بالقرءان بأكثر من موضع، كقوله تعالى: {فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ} هود82؛ وقوله جل شأنه: {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ} الحجر74؛ بل لقد استخدم السياق القرءاني تعبير (مطر بالحجارة) على ألسنة الناس، فقال سبحانه: {وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } الأنفال32؛ وكلها سياقات تدل على أن المطر إنما هو عذاب، نسأل الله السلامة.

ثالث عشر:. الملك والملكوت.

الملكوت هو كل ما يظهر وما لا يظهر من عالم الخلق وعالم الأمر، وهو الأسرار الحقيقية والقوانين التي تُحرك ذلك الملكوت وما يحوي من ملك، وهو الطاقات الخفية، والعلاقات والروابط غير المرئية، ونحن مطالبون بالبحث فيها ووراءها، وقد يفتح الله لبعض المجتهدين من خلقه، فيصلوا إلى بعض منها، وتدبر قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} الأعراف185؛ فالآية تؤكد مهمة الإنسان الموكولة إليه من رب العالمين بالنظر في ملكوت السماوات والأرض، فالنظر فيهما ويحثهما بحثا جادا ومتعمقا . عند بعض المتخصصين في علوم الأرض أو الفلك . يعين البشرية على حسن الإيمان.

والملكوت يحوي داخله معنى الملك، فالملك شيء محدد بذاته، أما الملكوت فهو مقاليد وأسس وجذر كل شيء، وتدبر قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يس83.

والملكوت بيد الله وحده، بينما قد يهب الله الملك لمن يشاء، فعن اختصاص الله بالملكوت يقول تعالى: {قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} المؤمنون88؛ وعن هبة الله بعضا أو أحدا من خلقه بعض الملك، وكذلك نزع ذلك الملك، يقول تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ

مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }آل عمران26؛ فتعبير (مالك الملك) غير تعبير (مُلك) بينما كلاهما يعبران عن الملكية.

وقوله ـ تعالى ـ بشأن منحه المُلك لمن يشاء: {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } البقرة251. بينما الملكوت، وهو قوانين صنع عالم الأمر والخلق لا يؤتاه أحد، ولا يستطيعه أحد، ولا ينزعه أحد، فهو من قدر الله.

أما الملك فهو لشيء مادي محدد بذاته، ويعود إلى الله يوم القيامة، فلا أحد يملك شيئا، حتى وإن كان مالكا له في الدنيا، فملكية كل الخلائق ملكية عارضة، بينما ملكية الله مطلقة، وفي ذلك يقول تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} الأنعام73؛ وقوله سبحانه: {يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } غافر16. وملوك الدنيا ومن يملكون فيها بإذن الله قد يكون لهم شركاء أو منازعون في الملك، لكن أحدا لا ينازع الله في ملكه، وهذا أمر خارج سياق البحث الماثل.

رابع عشر: الفرق بين الريح والرياح.

ومـن الكلمـات المتباينــة كلمتــا (الــريح والريــاح)، ولكـل منـهمـا منـهج بالقرءان، فكلمة (الريح) ترد حين يراد ذكر العذاب، وذلك من قولـه تعـالى: {مَثَلُ مَـا يُنفِقُـونَ فِـي هِـذِهِ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا كَمَثَـلِ رِيـحٍ فِيهَـا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْـهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّـهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَـهُمْ يَظْلِمُـونَ } آل عمـران117؛ وكقولــه سـبحانه: {مَّثَـلُ الَّـذِينَ كَفَـرُواْ بِـرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِـهِ الرِّيحُ فِـي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ } إبراهيم18. وقولـه سبحانه: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحـاً صَرْصَراً فِـي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِـي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ } فصلت16.

لكن إن ذُكرت الريح بخير فإن القرءان ينبه على هذا لأن الأصل في الـريح أن تكون للعذاب، كقولـه تعـالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّـهَ مُخْلِصِينَ لَـهُ الـدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَـا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّـاكِرِينَ } يونس22؛ وكقوله تعالى: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَـاء حَيْثُ أَصَابَ } ص36.

وقد تكون كلمة (ريح) لا تعني الهواء، لكن تعنـي معاني أخرى، مثـل قولـه تعـالى: { وَأَطِيعُـواْ اللّـهَ وَرَسُـولَهُ وَلاَ تَنَـازَعُواْ فَتَفْشَـلُواْ وَتَـذْهَبَ رِيحُكُـمْ وَاصْـبِرُواْ إِنَّ اللّــهَ مَـعَ الصَّـابِرِينَ } الأنفـال46؛ فقـد وردت بمعنــى

(قوتكم)، وقد ترد بمعنى طيف الإحساس، كقوله تعالى: {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ } يوسف94.

لكن الرياح تعني الخير، وذلك من قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف57؛ ويقول جل في علاه: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ } فاطر9؛ ويقول سبحانه: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} الروم46.

لذلك فكلمة (الريح) لها استخداماتها، وكلمة الرياح لها استخدامات أخرى وفق القواعد السابقة.

خامس عشر:الفرق بين استمع و أنصت وأصغى.

الاستماع غير الإنصات، فقوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } الأعراف204؛ يعني أن الاستماع

بـالأذن، أمـا الإنصـات فهـو الاسـتماع بإمعـان بغيـة الإدراك بالعقـل، فـلا يمكـن أن نقـول لمـن يريـد الاسـتماع كلمـة (أنصـت) إلا إن كنـا نريـد منـه الانتباه لما يقال، بينما هو ذاهل عنه.

وقد يكون السمع بغير أُذُن إذا كـان المراد منـه الإجابـة، كقولنـا بالصـلاة (سـمع الله لمـن حمـده)، أي اسـتجاب الله لمـن حمـده، أو اللهـم استجب لمـن حمـدك، ومنـه الحـديث [اللهـم إنـي أعـوذ بـك مـن دعـاء لا يُسمع] أي لا يستجاب لـه.

والسميع هو الله الـذي يسمع بغيـر تشبيه ولا تعطيـل ولا توقـف علـى معنـى وجـود أذن لله، فسبحانه وتعـالى {فَـاطِرُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيـهِ لَيْسَ كَمِثْلِـهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } الشورى11.

أمـا الإصـغاء فيعنـي الميـل الفعلـي حـين الاسـتماع بإمعـان وصـمت، وهـو قـد يعنـي حـب مـا يـتم الاسـتماع إليـه، وذلـك مـن قولـه تعـالى : {وَلِتَصْـغَى إِلَيْـهِ أَفْئِـدَةُ الَّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُـونَ بِـالآخِرَةِ وَلِيَرْضَـوْهُ وَلِيَقْتَرِفُـواْ مَـا هُـم مُّقْتَرِفُـونَ } الأنعـام113؛ وهـو يعنـي ميـل قلـوب الكـافرين للمعصـية وتكـذيب الحـق، لكـن الآيـة ترشـد وتحـث الإنسـان أن يُـدرِّب فـؤاده علـى الإصـغاء لكلمـات الله، فسـينهيه ذلـك الإصـغاء عن معاصيه التي درب عليها.

ويقول سبحانه وتعالى: {إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} التحريم4؛ **فعبارة (فقد صغت قلوبكما) تعني ميل القلب للطاعة بعد أن تابت وأنابت لربها.**

فلابد أن تدرِّب نفسك على حب سماع القرءان بقلبك وبفؤادك، فتدريب القلب والفؤاد على الإصغاء أمر جلل ينجم عنه أن يفرق الله بين أهل الجنة وأهل النار، فكلما كان حبك لسماع القرءان عظيما كلما كنت من الذين يرحمهم الله.

سادس عشر: الشك والريب.

قد يتبدى لغويا أن الشك هو الريب، لكن هناك فروقا دقيقة بينهما، حتى إنك لتجد أحيانا أن الريب هو نتاج الإمعان في الشك، فالشك هو التردد والغموض وعدم الاستبيان، بينما الريب هو شك مصحوب باتهام وقلق النفس.

فعن الشك يقول تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } يونس104؛ ويقول تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً } النساء157.

أما عن تطور الشك والقلق والتردد، حتى إنه ليتبدى أن يكون اتهاما، وهو في هذه الحالة يمكن تسميته بالاضطراب بين التردد في التصديق والاتهام بالكذب، فيقول تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} فصلت45؛ ويقول سبحانه وتعالى: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} الشورى14.

أما عن الريب وحده كاتهام سواء أكان هذا الاتهام بالكذب أو غيره فيقول جل في علاه: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة2؛ أي لا كذب فيه، ويقول تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ }التوبة45؛ فهم يترددون بين الشك والاتهام نتيجة لتكذيب القلوب لرسالة الإيمان وتنازع فطرتها مع التكذيب المسيطر عليها.

وقد يتصور أحدهم بأن الريب هو الشك، خاصة إذا ما قرأ قوله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} آل عمران9، لكن عبارة (لاَّ رَيْبَ فِيهِ) تعني لا تكذيب فيه ولا كذب، فكما كانوا يتهمون الرسل في الدنيا بالكذب، ويكذبون بيوم الدين . وكلها اتهامات . فإنهم لن يستطيعوا ذلك في الآخرة، وهو غير الشك، فالريب لا يعني الشك به، لكن يعني بالأحرى التكذيب به.

سابع عشر: أجر كبير& أجر عظيم& أجر كريم& أجر غير ممنون& أجر حسن.

قد يكون هذا البند هو أصعب فروق المعاني، وهو العلامة الفارقة التي تؤكد عدم وجود ترادف بالقرءان، ولتبيان الفرق سنتناول آيات القرءان التي وردت لتبيان الفرق في الأجر بين الكبير والعظيم والكريم والحسن وغير الممنون، بل هناك أجر للعاملين وآخر للمؤمنين، وثالث للمصلحين، ورابع للمحسنين، وهناك أجر الدنيا وأجر الآخرة، وكل المطلوب من القارئ الكريم تدبر ما سندونه من آيات الذكر الحكيم، وسنبدأ بحول الله آملين من الله العون لتبيان الفرق فيما يلي:-

1. الأجر الكبير.

يقول ـ تعالى ـ في سورة الحديد: (آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7)؛ فالأجر الكبير لمن آمن وأنفق في سبيل الله.

2. الأجر العظيم.

يقول (تعالى): (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) آل عمران.

ويقول (سبحانه): (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179) آل عمران.

ويقول (سبحانه) بسورة الأنفال: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28).

ويقول (جل جلاله) بسورة التوبة: { الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ{20} يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ{21} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ{22}.

ويقول (جل في علاه) بسورة التغابن: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15).

من جماع ما سبق يتأكد المسلم المتدبر للقرءان بأن الأجر العظيم لمن جعل زخارف الدنيا وفتنتها مطية لرضوان الله، والأجر الكبير لمن أنفق في سبيل الله طواعية بلا طلب من أحد نفقة جهاد وإعمار للكون، على أن يكون الإيمان بالله هو الأصل.

3. الأجر الكريم.

يقول (تعالى): {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} يس11.

ويقول (سبحانه) بسورة الحديد: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11).

ويقول (جل في علاه) بالآية رقم 18 من ذات السورة: (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ).

فالأجر الكريم لمن أدى الفرائض، وكانت خشيته من الله هي الحاكم على سلوكياته، كذلك فإن الأجر الكريم يكون لمن أنفق على الفقراء (الصدقة) ومن أنفق حين يطلب منه الإنفاق.

4. الأجر غير الممنون.

يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } فصلت8.

ويقول سبحانه: {وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ } القلم3.

ويقول ربنا تبارك وتعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} الانشقاق25.

ويقول جل في علاه: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } التين6.

فالأجر غير الممنون أي غير المنقوص ولا المقطوع، يعني المستمر، وهو أقل الأجور، والأجر غير الممنون يكون للمسلم العادي الذي يؤدي ما يطلب منه، ويعمل صالحا بجهد محدود، والأجر الممنون يكون بالدنيا في غالب الأمر.

5. الأجر الحسن.

يقول (تعالى): {قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً } الكهف2.

ويقول (سبحانه وتعالى) بسورة الفتح: (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (16).

والأجر الحسن بالدنيا لمن أطاع ونجح في اختبارات الفتنة.

ثامن عشر: الفرق بين أهل وآل.

من بين ما تم الخلط فيه كلمتا (أهل ـ آل)، وإن استعرضنا ما بالقرءان من آيات عن كلتيهما لعلمنا الفرق بيسر.

فعن تعبير(أهل البيت) يقول تعالى: {قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } هود73؛ ويقول تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } الأحزاب33.

بينما يقول سبحانه عن كلمة (آل) : {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ } البقرة49.

ويقول تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } البقرة248.

ويقول سبحانه: {إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } آل عمران33.

ويقول جل جلاله: {إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ } الحجر59.

{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً } مريم6.

{يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } سبأ13.

{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } النمل56.

ولنا أن نتساءل عن الفرق بين آل البيت وأهل البيت، فآل البيت هم كل من انتسب للبيت، أو صاحب أهله وآمن بما آمن به أهل البيت، أو كان من أهله المؤمنين، فأنت حين تُصلي على محمد وعلى آل محمد ρ إنما تُصلي على كل من عاصر النبي بإيمان، سواء أكان من أقاربه أم كان من غير أقاربه، ونجد ذلك جليًا في كتاب الله، حيث يقول تعالى:- {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ } القصص8؛ وقوله تعالى:- {... وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} يوسف6؛ أي على كل من آمن بيعقوب.

أما كلمة أهل البيت فتعني أهل قرابة الشخص، وخاصة الرَّحم، وآية ذلك في قوله تعالى:- {قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } هود73؛ ويقول تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } الأحزاب33؛ يعني من اصطفاهم الله للنبوة، فهم أهل بيت النبوة .

أما قوله تعالى:- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } النحل43؛ فيعني أهل قرابة الذِّكر، وقوله (حكما من أهلها) يعني من أقاربها.

وقد تُذكر كلمة (أهل) للانتساب للمكان أو الشيء مثل: (أهل النار & أهل القرى & أهل الكتاب & أهل المدينة...) فحين يُذكر لفظ (أهل القرية) يعني الملتزمين بالقرية التزاما لا فكاك منه.

فالأهل هم النسب، والآل للأتباع في المعتقد، وذلك في غالب ورود التعبيرين.

تاسع عشر: الفرق بين السَّنَة والعام والحول والحِجَّة.

من بين ما يتصوره الناس مترادفا كلمتا [السَّنَة والعام والحول والحجة]، وقد أكدته التفاسير بعدم تمييزها بينهم، لكن باستقراء وتدبر القرءان نجد الفارق جليًا، فمن بين الآيات ما جمع بين كلمتي السّنة والعام، حيث يقول المولى عز وجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } العنكبوت14؛ فالسّنة تُطلق على أيام الشقاء أو حمل المسئولية مما يساوي اثني عشر شهرا، أما كلمة عام فتطلق على أيام الخير والسرور أو انعدام المسئولية مما يساوي اثني عشر شهرا أو الأيام عند الله فيما قبل الآخرة، فقوله تعالى(أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً) إنما تعني شقاء سيدنا نوح في قومه تسعمائة وخمسين سنة، أما عبارة (إلا خمسين عاما) فتعني أيام عاشها سيدنا نوح في سعادة بعد أن أنجاه الله في السفينة ومن معه من المؤمنين، وكلمة عام تطلق أيضا حين تنعدم المسئولية، ويعيش الإنسان منطلقا لا يلوي على شيء.

كلمة (سَنَة).

ولنستعرض أولا معا كلمة (سَنَة) بالقرءان، حيث يقول تعالى: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن

يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } البقرة96؛ فلأنهم مشركين تمر عليهم أيام حياتهم بالسنوات، لأنها تزيد في سيئاتهم.

ويقول جل شأنه: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } المائدة26. فلأنها محرمة عليهم احتسبت تلك المدة بالسنوات لأنها أيام شقاء.

ويقول سبحانه: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ } الحج47؛ ونكتفي بهذا القدر في التدليل على أن لفظ سنة يقترن معه الشقاء والتعب والكد.

كلمة (عام).

أما كلمة عام فنتخذ من آيات القرءان دليلا على معناها، حيث يقول تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } البقرة259. فحين أماته الله صارت أيامه بالقبر أيامًا بلا مسئولية، لذلك سميت المائة سنة بمائة عام.

{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } التوبة37. **فهم حين انعدمت المسئولية عندهم ومارسوا الحياة على هواهم سميت تلك السنين بالأعوام.**

{ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ } يوسف49؛ **وهو يعني ما ورد بالتفسير الميسر:[** ثم يأتي من بعد هذه السنين المجدبة عام يغاث فيه الناس بالمطر، فيرفع الله تعالى عنهم الشدة، ويعصرون فيه الثمار من كثرة الخِصْب والنماء**]. فتدبر . رحمك الله . كيف خلط التفسير بين لفظتي السّنة والعام فذكر تعبير (**السنين المجدبة عام**).**

{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } لقمان14. **فأيام الرضاعة أيام هناء وسرور بغير مسئولية لذلك الرضيع الذي يسعى أهله لخدمته.**

فليس بمستغرب أن يتفرد معنى كلمة سنة عن كلمة عام في قوله تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ }العنكبوت14؛

لكن المستغرب أن يتصوّر المتدبر للقرءان أن اختلاف الكلمتين مجرد تلوين للكلمات بلا طائل، وكذلك كلمة حول،

وحـولين كـاملين، وكلمـة حِجّـة، فمـا كـان الله ليضـع الكلمـات ويمـايز بينها في القول والنطق لنجعلها نحن بمعنى واحد.

ومـن البـدهي أن تجـد التفاسـير التـي بـين أيـدينا ولـم تمـايز بـين السَّـنَة والعـام، ومـا ذلـك إلا لانتهـاجهم نهـج التـرادف الـذي يجـب أن ينقضـي علـى أيـدي علمائنـا المنـوط بهـم أن يضـعوا تفسيرا للقرءان يتواكب مع عقول أهل اليوم، وصحيح اللغة.

كلمة (حول).

مـن بـين مـا تصـوره أهـل التفسـير وجـود التـرادف بـين كلمتـا السّـنة والعـام مـن جانـب وكلمـة حـول علـى الجانـب الآخـر، لكـن الحـول هـو كـل مـا يـدور دورة كاملـة، فيسـمى حـول، فالـدورة الزراعيـة حـول، والـدورة القمريـة حـول، والـدورة الشمسـية حـول أيضا، ومدة الحمل حول.

فـلأن التطـور مـن مرحلـة الجنـين إلـى مرحلـة الطفولـة حـول، بمـا يعنـي أن أصـل الرضـاعة تكـون ثمانيـة عشـر شـهرا، لكـن كمـال الحـول سـنة، فيكـون الرضـاع حـولين كـاملين أي سـنتين، فحـين يقـول تعـالى: {وَالْوَالِـدَاتُ يُرْضِـعْنَ أَوْلاَدَهُـنَّ حَـوْلَيْنِ كَـامِلَيْنِ لِمَـنْ أَرَادَ أَن يُـتِمَّ الرَّضَـاعَةَ ..... }البقـرة233. يعنـي أن أصـل الحـول البشري تسعة أشهر وإكماله يكون حتى سنة.

لكـن قولـه تعـالى: {وَالَّـذِينَ يُتَوَفَّـوْنَ مِـنكُمْ وَيَـذَرُونَ أَزْوَاجـاً وَصِـيَّةً لِّأَزْوَاجِهِـم مَّتَاعـاً إِلَـى الْحَـوْلِ غَيْـرَ إِخْـرَاجٍ فَـإِنْ خَـرَجْنَ فَـلاَ

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } البقرة240؛ فإنه يعني أن تظل المرأة تسعة أشهر في بيتها بعد وفاة زوجها إن ترك لها وصية بذلك.

كلمة (حِجَّة).

أما كلمة حِجَّة وهي الواردة بسورة القصص في قوله تعالى: {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ }القصص27؛ فالثماني حجج، ليست ثمان سنوات، لأنهم كانوا يحجون قبل شريعة سيدنا موسى في كل وقت، أما اقتصار الحج على أوقات محددة فهو في شريعة موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فقط.

فالحجج الثمانية هي المقدار الزمني الذي يستغرقه المسير من مكان الرجل الصالح الذي زوج ابنته لسيدنا موسى إلى مكة المكرمة ذهابا وإيابا ثماني مرات.

عشرين: البيت والمسكن.

البيت غير المسكن، وللقرءان منهج ثابت، فهو يذكر البيوت أحيانا مُعرّفة بحرف التعريف (ألـ)، بينما لم ترد كلمة (مساكن) مُعرّفة بحرف التعريف (ألـ) أبدًا.

والبيت والبيوت يشغلها مالكوها، ولها حرمتها، لكن المسكن والمساكن قد لا يشغله مالكه أو مالكوها، والبيوت تطلق حين يكون شاغله لا يتمتع بالمودة مع باقي الأسرة، إذ يموت ذكر النحل بمجرد التلقيح ولا يدخل البيت، ويموت ذكر العنكبوت ولا يدخل البيت، وتكون الألفة والمودة بين النمل في مساكنه، بينما هي في البشر غير ذلك إذ يُعبِّر لفظا البيت والمسكن عن المودة والأمن بين شاغليه.

والبيوت يقيمها مالكوها وشاغلوها من مواد بناء مُعيّنة، فتجد النحل يقيم بيته من الشمع، والعنكبوت يقيمه من خيوط، والإنسان يقيمه من مواد البناء في عصره، أما المساكن فهي تكون بلا مواد، كمساكن النمل فما هي إلا حفر بالأرض، أو أماكن مهجورة.

وتدبر ذلك كله في آيات كتاب ربنا سبحانه وتعالى، فعن حرمة البيوت يقول تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } البقرة189.

ويقول سبحانه عن كونها من مواد بناء: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } النحل68؛ ويقول ربنا: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } العنكبوت41.

بينما هي في المساكن شيء آخر حيث يقول تعالى: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }إبراهيم37؛ ويقول سبحانه: {وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً} الإسراء104؛ فليست مواد البناء شرطا لتشييد المساكن، إذ يمكن أن تكون كهوف مثلا.

وعن كونها أمنا يقول تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } البقرة125؛ ويقول سبحانه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } التحريم11؛ ويقول تعالى: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً } نوح28.

وعن المساكن يقول تعالى:{وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ } إبراهيم45؛ ويقول تعالى في شأن مودة وأمن ساكني المسكن: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ

آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ } سبأ15؛ وعن كونها أمنا للخلائق الأخرى يقول تعالى: {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } النمل18.

وفي الواقع البشري، فإن البيوت والمساكن تُعبِّر وتنُمُّ عن المودة والأمن بين أهل البيت أو المسكن الواحد، لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ }سبأ15؛ وقوله تعالى: {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ }النحل80.

وهكذا فالفروق بادية جلية، لمن أراد التدبر لكتاب الله الذي قال: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يوسف2. وقال سبحانه: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} الزخرف3؛ فهل نعقل معاني اللغة العربية على أصولها القرءانية.

حاديا وعشرين:الذّنب والمعصية والسيئة والخطيئة والإثم.

قد يكون من اللازم أن يتعرف المسلم على حقيقة معنى اللفظ القرءاني ليحدد هدف الشارع جل في علاه ويقف على مراد أوامر الله ونواهيه، وهو الأمر الذي يجب أن يكون محل عناية المتخصصين الذين منع أكثرهم إعمال الفكر لغير المتخصصين، بينما تفرغوا هم للنقل والاغتراف من جهد السابقين من قدماء المجتهدين دون تمحيص، كذا يجب أن يكون محل عناية كل من كان له حظ من التعلم.

والمقال الماثل صورة حية تعبِّر عن مدى فداحة الخطر الذي يحيق بأهل الإسلام نتيجة عدم وقوفهم على المعنى المراد من جهة، وتصورهم وجود ترادف بالقرءان من جهة أخرى، إذ لم توفق التفاسير القديمة التي يقدسها أهل الإسلام للوقوف على المعنى وتحديد هدف الشارع بوضوح لا لبس فيه، لذلك انتقيت هنا الفرق بين الذنب/المعصية/السيئة/الخطيئة/الإثم، بل وقمت بخطب ود كلمة يظُنّها الناس والدعاة أنها من الأخطاء وما هي كذلك وهي كلمة (وزر أو أوزار).

أولا: الذنب والذنوب.

الذنب هو ما وقع عن عمد ممن أتى به، ويكون مكررا، فالمخالفات تبدأ بالسيئات والمعاصي، ثم تتحول إلى ذنبُ ثم إلى خطيئة

باستمرار اقتراف الذنوب أو السيئات، وقد يبدأ العبد بالذنب أولا وذلك حين يكون كافرا، فعن العمد مثل قوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ } يوسف29؛ ويقول تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا } الشمس14.

والذنب يحتاج إلى استغفار أو توبة، وذلك لقوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر55؛ ويقول تعالى:{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } محمد19؛ ويقول جل في علاه: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } آل عمران135.

وإن لم يستغفر عنه صاحبه فهو يوجب له العذاب لقوله تعالى: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ}الملك11؛ ويقول سبحانه: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } آل عمران11؛ ويقول ـ تعالى ـ محذرا من عدم الاستغفار من الذنب: {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ } الأعراف100.

ويمكن لك أن تطلب من غيرك أن يستغفر الله لك مع استغفارك أنت واعترافك بذنبك، وذلك لقوله تعالى: {قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ } يوسف97.

والله يدعو الناس للاستغفار من الذنوب لقوله سبحانه: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } إبراهيم10؛ والذنوب تبدأ من الكفر وهو أكبرها، ولا يحتسب للكافر حسنات، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [ليس بعد الكفر ذنب]. ويقول . تعالى . في شأن عدم احتساب حسنات الكافر: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً } الفرقان23؛ لأن الله يجازيهم عنه في الدنيا، لذلك فهم يخاطبون يوم القيامة فيما ورد بقوله تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ} الأحقاف20.

ثانيا: المعصية.

المعصية هي التي تكون عن غواية، أو عناد، أي ألا يتحمل إيمانك الصبر على الطاعة عند حدوث فتنة تعرض لك، أو حب مخالفة من يدعوك إلى الهدى استكبارا منك، أي مخالفة رسل الهداية، وقد بدأ أبونا آدم بالمعصية حين أغواه الشيطان، وفي ذلك يقول تعالى: {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } طه121؛ ويقول ربنا في شأن استكبار البعض عن دعوة الحق: {فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً} المزمل16.

والمعصية تكون حين تخالف رسولاً يوجد أمامك يدعوك إلى الهدى، فيقول تعالى: { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } آل عمران152؛ ويقول ـ سبحانه ـ عن لسان نبي الله موسى مخاطبا أخاه هارون ومتعجبا: {أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي } طه93؛ ويقول تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ } البقرة93.

ثالثا: السيئة.

السيئات في أصلها هي صغار الذنوب، وقد تقع عن عمد أو غير عمد، لكنها تقع في غالب أمرها لجهالة مقترفها، ويغفرها الله بمجرد أن نجتنب الكبائر، أو نعمل الصالحات، لكن بعضها يحتاج لاستسماح من أضرتهم السيئة، وبعضها يحتاج لتوبة.

فعن محو ومغفرة السيئات بالحسنات، يقول تعالى: {إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} البقرة271؛ ويقول جل وعلا: {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } هود114؛ ويقول ـ سبحانه ـ في شأن محو السيئات

بمجرد عدم غشيان الكبائر: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً } النساء31.

أما بشأن احتياج بعض السيئات لتوبة فذلك من قوله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً } النساء18؛ ويقول تعالى:{وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } الأعراف153؛ ويقول سبحانه:{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } الشورى25؛ يعني وجوب العذاب لمن اعتاد اقتراف السيئات حتى الممات، وهو ما يعني أن السيئة انقلبت لتكون خطيئة وهو ما سيأتي بيانه ببند الخطيئة.

وعن عدم العمد في السيئة ثم المسارعة إلى التوبة باعتبارها شرطا من شروط توبة الله عن العبد يقول تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً} النساء17؛ ويقول تعالى: {وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} الأنعام54؛ ويقول جل شأنه: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } النحل119.

رابعا: الخطيئة.

ورغما عن أن الأصل في السيئة أن تكون عن غير عمد، أو بمعنى أصح تكون بجهالة، فإن البعض يستمرون في اقتراف السيئات نتيجة حتمية لتلك الجهالة، وهي نتاج إفسادهم لفطرتهم، وهي حينئذ تنقلب من مجرد سيئة لتصبح خطيئة، وهي التي توجب العذاب، لأن الإنسان يجب عليه أن يهتدي للحق بفطرته السليمة، لكنه إن أفسد هذه الفطرة فإنه يستمر في السيئة التي تصبح في حقه خطيئة، وتوجب له العذاب، لذلك يقول تعالى: {بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة81.

وقد يتصور أحدنا أن الآية تتحدث عن الكفر لذلك فالنتيجة هي الخلود بالنار، لكن هذا مفهوم مخالف للمرامي القرءانية، فإحاطة الخطيئة بالإنسان أي كونها أصبحت منهج حياة له، لذلك فستربو سيئاته على حسناته، وبذلك يكون من المخلدين بالنار.

والخلود الأبدي بالنار لا يقتصر على الكفر فقط، لكن كل من لم يكسب بإيمانه خيرا فهو من المخلدين بالنار أيضا، وذلك لقوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ } الأنعام158؛ لذلك يلحق أهل الخطايا الذين ربت سيئاتهم على حسناتهم بالكافرين في الخلود بالنار والعياذ بالله، فليست هناك نجاة لأصحاب الشهادتين فقط.

خامسا: الإثم.

الإثم هو خطأ عمدي أو غير عمدي تم التعارف على فساد من يرتاده، أو سبق التحذير من الوقوع فيه، والإثم هو الباطل أيضا، لذلك فإن من يأتيه يكون قد ارتكب خطيئة توجب التوبة.

يقول تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } البقرة188.

ويقول سبحانه:{وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} البقرة206.

ويقول جل شأنه: {انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً } النساء50.

فالآثم بالإثم مجرم بطبعه، لا يرعوي، وقد احترف قلبه تلك الخطايا، لا يهمه إن وقع على الخطأ أم وقع الخطأ عليه، وعلى ذلك فليس لنا أن نتكلم عن توبته، لأنه لن يتوب.

تعليق خاص عن كلمة (وزر):

هناك من أهل التدين الشعبي من الذين يتصورون بأن كلمة (وزر) تعني نوعًا من الآثام أو الخطايا، وهو ما أراه غير ملائم، رغم ما ورد عن ذلك ببعض التفاسير، لكن كلمة (وزر أو أوزار) تعني أحمال أو أثقال أو مهام لا يطيقها العبد، لذلك حين يقول تعالى:{وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ }الشرح2، فإن ذلك لا يعني مغفرة ذنوب للنبي كما قال بذلك ابن

كثير في تفسيره، لكنها تعني بأن الله وضع عنك ما يثقلك من الهموم وساعدك في مسئولياتك، لذلك حين يقول تعالى:{قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ}طه87؛ فإن كلمة (أوزارا) تعني (أحمالا).

وانظر إلى تفسير الماوردي وهو يأتي بكل ما قيل بشأن كلمة (وزر)، بحيث لا يقف القارئ على المعنى المراد، حيث ورد به ما يلي: [
{ ووَضَعْنا عنك وِزْرَكَ} فيه ثلاثة أقاويل :أحدها : وغفرنا لك ذنبك ، قاله مجاهد، وقال قتادة : كان للنبي ذنوب أثقلته فغفرها الله تعالى له . الثاني : وحططنا عنك ثقلك ، قاله السدي . وهي في قراءة ابن مسعود ، وحللنا عنك وِقرك .الثالث : وحفظناك قبل النبوة في الأربعين من الأدناس حتى نزل عليك الوحيُ وأنت مطهر من الأدناس .ويحتمل رابعاً : أي أسقطنا عنك تكليف ما لم تُطِقْه ، لأن الأنبياء وإن حملوا من أثقال النبوة على ما يعجز عنه غيرهم من الأمة فقد أعطوا من فضل القوة ما يستعينون به على ثقل النبوة ، فصار ما عجز عنه غيرهم ليس بمطاق .
{ الذي أنقَضَ ظَهْرَكَ } أي أثقل ظهرك ، قاله ابن زيد كما ينقض البعير من الحمل الثقيل حتى يصير نِقْضاً.
وفيه ثلاثة أوجه:أحدها: أثقل ظهره بالذنوب حتى غفرها .الثاني : أثقل ظهره بالرسالة حتى بلّغها .الثالث : أثقل ظهره بالنعم حتى شكرها] انتهى تفسير الماوردي في هذا الشأن.

الخلاصة: في عموم الأمر تجد بالآيات السابقة عن الأمر أن السوء يتم في غالبه بجهالة ثم تتم المسارعة بالتوبة، وهذا عكس واقعة الذنب الذي يكون عن عمد أو تكرار، وتقع السيئة دون أن تكون هناك رسل هداية تخاطب العبد، لذلك فهناك تباين بين المعصية والسيئة في ذلك الشأن، لأن قوام المعصية عدم العناية بالنصيحة المباشرة.

ويغفر الله بعض السيئات بمجرد أن تجتنب الكبائر أو تفعل الحسنات، بينما تحتاج الذنوب والمعاصي للتوبة والاستغفار حتما، والسيئة لا فتنة فيها، بينما المعصية قد تكون بمناسبة وقوع فتنة للعبد، والإثم إنما هو باطل يغشاه من يغشاه بعمد أو غير عمد؛ لذا يحذر الوقوع فيه.

ويعد هذا العرض ننتحي جانبا لنعرج على ما جاء ببعض التفاسير من خلط للأمر لا يفي برائع البيان القرءاني، حيث يقول ابن كثير في تفسيره:[وقوله: { إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ [وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا] (2) } . أي: إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة]**؛ فخلط . رحمه الله . بين السيئة والذنب والإثم، وهو ما يدفعنا لننادي بضرورة تفسير القرءان مرة أخرى كل خمسة عشر عاما ليستزيد أهل كل جيل بعلومهم، فالعلم دوما تراكمي، ويتبعه الإدراك.**

ثانيًا وعشرين: الفرق بين الوفاة والموت.

لعله من أبرز ما كثر فيه الخلط بتفاسيرنا القديمة عدم التفرقة بين الوفاة والموت، حيث ظنوهما انتهاء الحياة، وهو ما أصاب معاني ومرامي السياق القرءاني ببالغ الغبن في معرفة دلالات الآيات، وقد كان من نتاج تلك التفرقة تخليطهم المعاني، وبالتالي تصورهم وجود النسخ بآيات كتاب الله، وغير ذلك من الجنايات الفقهية، فالوفاة في غالب ورودها تعني التولي، لكنها قد تعني الموت، أما الموت فيعني انتهاء الحياة حتما.

يقول تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفِّي الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } الزمر42؛ فتعني تلك الآية أن الله يتوفانا جميعا حين ننام كل يوم، فبالقطع لا تعني بأنه يميتنا كل يوم، لكنه ـ مع ذلك ـ قد يقضي على بعض الأنفس التي توفاها بالموت فلا تستيقظ، ويمكن أن نستدل أكثر على ذلك الطرح من قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } الأنعام60؛ فلا يعني ذلك انه الموت حال النوم ليلاً، لكنه يعني أن الله يتولى أنفسنا ليلا بالحبس عنده في مكان لا يعلمه إلا هو، لأنه ذكر بعدها (ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى)، ثم بعد انتهاء ذلك الأجل إليه مرجعكم، وذلك من قوله: (ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ).

نعـم الله هـو المميـت، لكـن ليسـت كـل وفـاة تكـون موتـا، فقولـه تعـالى: {قُـلْ يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِن كُنـتُمْ فِـي شَـكٍّ مِّـن دِينِـي فَـلاَ أَعْبُـدُ الَّـذِينَ تَعْبُـدُونَ مِـن دُونِ اللّـهِ وَلَـكِنْ أَعْبُـدُ اللّـهَ الَّـذِي يَتَوَفَّـاكُمْ وَأُمِـرْتُ أَنْ أَكُـونَ مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ } يـونس104؛ فعبـارة [أَعْبُـدُ اللّـهَ الَّـذِي يَتَوَفَّـاكُمْ]، لا تعنـي الـذي يميـتكم. بـل معناهـا يتـولاكم، كالـذين يتولون تدوين أعمالنا، والذين يحرسوننا.

لكن قد ترد الكلمة بمعنى الموت لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّي مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } غافر67.

أمـا قولـه تعـالى: {فَكَيْـفَ إِذَا تَـوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَـةُ يَضْـرِبُونَ وُجُـوهَهُمْ وَأَدْبَـارَهُمْ } محمـد27؛ فـلا يعنـي المـوت، إنمـا يعنـي تـولي الملائكـة للمجـرمين يـوم القيامـة يسـوقونهم إلـى جهـنم علـى وجـوههم صـما وبكمـا وعميـا، ولأسـفي فـإن بعـض الـدعاة والمفسـرين إن لـم يكـن جلّهـم يقـول عـن هـذه الآيـة بأنهـا سـاعة الوفـاة، ومـا ذلـك إلا لقصـور مفهـوم كلمـة (يتـوفى) عنـد الـبعض، فـالتوفي هنـا يعنـي التـولي، أي حـين تتـولى الملائكـة أمـر الـذين كفـروا فـإنهم يضـربون وجـوههم وأدبـارهم، إبـان المحشـر الخـاص، فهنـاك محشـر عـام، وأيضـا محشـر خـاص لكـل مـن أهـل الجنـة وحـدهم، وأهـل النـار

بخصوصهم، فالآية تشير إلى المحشر الخاص لأهل النار، ونظرا لهذا التصور الخاطئ عند البعض فقد تصوروا وجود عذاب بالقبر حين الموت.

لكن إذا تصورنا تفسير الدُّعاة والمفسرين فإننا سنسأل عن دور الملائكة (السائق والشهيد) بالنسبة للصالحين، هل أغفله القرءان؟، لكن لنا أن نقول بأن الفرق في السوق للمحشر هو الإهانة التي يلقاها أهل الكفر، وفي لونهم الأزرق وفي كونهم عميانا وصما وبكما، بينما سيُحشر المتقون في محشر خاص، حيث يقول تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً} مريم85؛ بينما يقول عن الكافرين: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً} مريم86؛ بما يعني بأن هناك حشرًا عامًا ثم حشرًا خاصًا لكل فئة.

كما لابد أن نتبين الفرق بين الحشر وفدا للمتقين، والسوق وردا للكافرين، فالوفود يكون لها شرف في استقبالها، أما الورد فهم يقذفون ويذوقون سوء المعاملة.

وهناك آيات جمعت بين الوفاة والموت، منها قوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } السجدة11؛ فيتوفاكم تعني يتولاكم بالموت.

والموت هو غياب عن الحياة إلى مكان يفصله عنا حائل، يسمى البرزخ، فيقول تعالى: {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا

كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } المؤمنون**100؛ ويقول تعالى عن الموت: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ }** آل عمران**185.**

والقتل يعني الموت حتما والغياب عن دنيانا، وأحيانا....ومع ذلك فهناك من يُقتلون لكن يظلون أحياء كالشهداء، وذلك من قوله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } آل عمران**169. لكنها ليست حياة بدنيانا.**

ومما عجَّت به التفاسير، تجد عدم التفرقة بين الوفاة والموت أبدا، وإليك نموذج منها مقتبس من التفسير الميسر: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}النحل32؛ الذين تقبض الملائكةُ أرواحَهم، وقلوبُهم طاهرة من الكفر، تقول الملائكة لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم وسلامة من كل آفة، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون من الإيمان بالله والانقياد لأمره. **فخلط التفسير بين حالة قبض النفس وبين تولي الملائكة أهل الجنة في الآخرة ليقودوهم إلى الجنة، بل وخلط ذلك التفسير بين الروح والنفس، فتصور بأن الروح هي التي تخرج وتعود إلى الله، ولم يعرف بأنها النفس.**

لذلك لا يصح التصور بأن كلمة وفاة أنها تعني الموت دوما.

ثالثًا وعشرين: الفرق بين الميْت والميّت.

قد يتصور أحدنا بأن كلمة الميْت (بسكون حرف الياء)، تعني ذات أمر لفظة الميت (بتشديد حرف الياء)، لكن حقيقة الأمر على خلاف ما يظن أهل عدم التعمق والتدبر، وعبر سياحة بكتاب الله سنتدبر ونقف على حقيقة المعنى المراد.

يقول تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } الأنعام122.

ويقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ } الحجرات12.

لكن تجد الأمر مختلفا حين ترد كلمة ميت بمعنى الموت، حيث يقول تعالى: {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ } آل عمران27.

ويقول تعالى: {يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ } إبراهيم17.

ويقول سبحانه وتعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ } المؤمنون15.

فمن البيان السابق تجد أن الميت بتشديد حرف الياء تعني انتهاء الحياة فعلا، لكن الميت بسكون الياء يعني موت القلوب.

ولقد ذكر الله كلمة الميْت بسكون حرف الياء للدلالة على موتى الطيور والحيوانات، وما ذلك إلا لأنه لا نفس لها، إنما هي أرواح فقط بلا إرادة، فيقول تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ..... } المائدة3.

ويقول سبحانه: {وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ } الأنعام139.

وهكذا يتم إطلاق كلمة ميْت على موتى الطيور والأنعام، ولأن الكافر قد طمسته نفسه الشيطانية عن رؤية الحق فهو ميْت، وإن كان به نفس كان لابد لها أن تعي وتحيا حياةً حقيقية، لذلك لا تعجب أن شبه الله الكافرين بالأنعام بل أضل، حيث يقول تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } الأعراف179.

وبعد: فهل من شك بحاجتنا الماسة لتفسيرات عصرية لكتاب الله؟، وهل لا زالت مراجعنا القديمة موضع التقديس في نفوسنا؟، إن القدسية لا يجب إلا أن تكون لحرمات الله فقط، كالقرءان والكعبة

وشعائر الله، والله تعالى يقول: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } الحج30؛ ويقول سبحانه: {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ } الحج32.

أربعًا وعشرين: الفرق بين الموتى والأموات.

لقد ورد اللفظان بكتاب الله، فورد لفظ (أموات) و (أمواتا) كل منهما ثلاث مرات، بينما ورد لفظ الموتى سبع عشرة مرة، ولكي ندلل على الفرق بينهما فيما ورد بكتاب الله، فإن كلمة الموتى إنما تعبر عن كل من فارق الدنيا سواء أكان مؤمنا أم كافرا، لكن كلمة أموات وردت لتعبر عن موت القلوب أو موت القوالب على الكفر، وسوف ندلل على ذلك بإيراد بعض الأمثلة فيما يلي:.

1. {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ } البقرة154.
2. {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } آل عمران169.
3. {أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } النحل21.
4. {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ } فاطر22.

5. { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً{25} أَحْيَاء وَأَمْوَاتاً{26} المرسلات.

فالشهداء لهم حياة القلوب وليس لهم حياة الأبدان والقوالب، وهم موتى على الإيمان، لذلك فلا يطلق عليهم لفظ أموات، وإن كانوا موتى، وتلاحظ بآية سورة فاطر تلك المقارنة التي عقدها الله بين الأحياء والأموات، فإنهم لم يكونوا من أموات الأبدان والقوالب، لكنهم موتى قلوب لكفرهم، لذلك تمت المقارنة بين الأحياء والأموات، وسمى الله كفر قلوبهم بأنها قلوب مقبورة في داخل قبور كفرها.

أما الموتى فهم من غادروا الدنيا، سواء أغادروها على الإيمان أو الكفر.

خامسًا وعشرين: النبأ والخبر.

قد يتصور أحدنا بأن الخبر هو النبأ، بينما هما مختلفان، فعن كلمة النبأ يقول تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }الحجر49؛ ويقول ـ سبحانه ـ بسورة النبأ:[عَمَّ يَتَسَاءلُونَ{1} عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ{2}]؛ فالنبأ العظيم هو البعث والحساب، فهكذا يلاحظ القارئ أنه إخبار بأمر يقع بالمستقبل، فتعريف النبأ بأنه الخبر أمر غير مقبول.

فالنبأ (وهو من التنبؤ) يحمل في طياته أمورًا لم تحدث بعد، أو من المتوقع حدوثها حتما بالمستقبل القريب أو البعيد، وأحيانا قليلة يكون النبأ كشف لمستور، كقوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ}الشعراء69؛ والنبأ دوما يكون بأمر صادق سواء أكان أمر سيحدث أم حدث فعلا، أما الخبر فهو في غالبه أمرًا وقع فعلا في الماضي القريب أو البعيد، وقد يصدق أو لا يصدق.

فيقول ـ تعالى ـ في شأن الخبر: {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }التوبة94؛ فهذه الآية جمعت بين اللفظين (النبأ والخبر) لكن المتدبر يرى أن الخبر أمر وقع فعلا، وواقعة الإنباء هي كشف لما يريد أهل النفاق ستره، ويقول تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } محمد31؛ فكلمة (أخباركم) تعني واقعكم.

سادسًا وعشرين: إذا وإن.

هما كلمتان أو على الأحرى أداتان نستخدمهما بلا ضابط نظرا لعدم تفرقتنا بينهما، لكن إن استقرأنا وتدبرنا كتاب ربنا لعلمنا الفرق، ولتغيرت منظومة الدعوة إلى الله بناء على تلك المعرفة، فكلمة (إذا)، ترد حين يكون الأمر محتم الوقوع بالمستقبل، أو يحدث غالبا في العادة، لكن كلمة (إن) تكون حين يكون الأمر بعيد المنال أو قد يقع أو لا يقع،

وذلك وفقا للتطبيقات التالية، لكن يراعى أن كلمة إن غير إنَّ بتشديد حرف النون، وسوف أستعرض مع القارئ بعض آيات القرءان لنتدبر تلك القاعدة.

أولا:التطبيقات لكلمة إذا.

يقول تعالى:

1. **{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ } البقرة180.**
2. **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } البقرة186.**
3. **{فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ } آل عمران25.**
4. **{إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } النصر1.**

ثانيا: التطبيقات لكلمة إن.

يقول تعالى:

1. **{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } البقرة23.**
2. **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } الحجرات6.**

3. {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً } المزمل17.

والأمثلة كثيرة جدا، لكني أكتفي بتلك الأمثلة لكل واحدة منهما لتبيان ووضوح الرؤية التي تفي بالتفرقة بين الكلمتين على النحو الذي أسلفنا.

أما كلمة (إنه) فتعني توكيدا لما يأتي بعدها فضلا عن حملها للضمير المعني إن حوت ضميرا، وتدبر قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }البقرة37.

وقوله تعالى: {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ }البقرة130.

وهكذا يكون التباين بين أدوات إذا وإن وإنه.

سابعًا وعشرين:الزوج والبعل والزوجة والمرأة.

لقد ضم فكرنا الموروث أن الزوج هو البعل، وأن زوجة فلان تعني امرأة فلان، لكن الأمر جد مختلف، فاستخدام القرءان الكريم لتلك الكلمات يبين مدلولاتها واختلافها عن بعضها، فالزوج هو الرجل الذي يمارس الحياة الزوجية بكل متطلباتها، أما البعل فهو الرجل الذي لا

طاقة له بما يمارسه الأزواج في شبابهم، أو ذلك الذي يمتنع عن فراش الزوجية بإرادته أو لعلَّة فيه.

وتعبير (زوجة فلان)، غير تعبير (امرأة فلان)، فلقد خط القرءان منهاجا للأمر، حيث يرد تعبير (زوجة فلان) حين يكون هناك انسجام في العقيدة بين الرجل وزوجه، وتحظى الزوجة بالسكينة والمودة والرحمة، أما تعبير (امرأة فلان)، فيعني اختلاف العقيدة، أو خللاً بالعلاقة الزوجية نتيجة مرض أو عدم انسجام أسري أو سفر الزوج وما إلى ذلك، ولنتأمل سويا بعضا من نماذج من آيات كتاب الله التي تؤكد تلك الفوارق، وذلك فيما يلي، ولنبدأ من جهة الزوج بكلمة (بعل) وكلمة (زوج):.

1. {قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ } هود72. فالبعل لا طاقة له بمعاشرة النساء.
2. {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} النساء128. فالبعل هنا امتنع عن القيام بواجبات الزوجية.
3. {خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ

خَلْقٍ فِـي ظُلُمَـاتٍ ثَـلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّـهُ رَبُّكُمْ لَـهُ الْمُلْكُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } الزمر6.

4. {قَدْ سَمِعَ اللَّـهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّـهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } المجادلة1.

فمن يراجع الآيات السابقة عن تدبر لكلمة (بعل)، يجد بالأولى عجز الزوج عن مهمة معاشرة الأنثى لكبر السن، وبالثانية توقفه عن المعاشرة بإرادته لكونه نشز أو أعرض عن زوجته، وبالآيتين الثالثة والرابعة عن كلمة (زوج) نجد الانسجام الطبيعي لواقعة الزواج بين الزوجين.

وإليكم البرهان الثاني بخصوص المرأة والزوجة، ولنبدأ بكلمة (زوجة).

1. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} النساء1.

2. {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } الأنبياء90.

فيبين من واقع الكلمة بالسياق القرءاني، تعانقًا بين الزوجين لتحقيق هدف الشارع من الزواج وذلك من خلال وجود السكينة والمودة وإنجاب الأولاد مع قوامة الرجل.

أما بكلمة (امرأة فلان) نجد تغيرا في المرامي التي يرصدها الخطاب القرءاني، وهو ما يثبت من خلال السرد التالي:.

1ـ {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} آل عمران35.

2ـ {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} التحريم10.

3ـ {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } التحريم11.

فبالآية الأولى كان الزوج (عمران) لا يقوى على القوامة بحقها لكونه شيخا كبيرا أقعده المرض، لذلك سمي هو (بعلا)، وسميت زوجته (امرأة عمران) لذلك تجد امرأة عمران تقرر وحدها أن تنذر ما في بطنها لله، وحين وضعت تسمي ابنتها وحدها، حيث كان عمران قد توفي متأثرا بما كان فيه من مرض أقعده عن مباشرة الحياة، ويدلل سياق أمرها

وتحدث القرءان بقولها وحدها دون زوجها عدم وجود حقيقة القوامة داخل منزل الزوجية.

ولكفر النسوة مع صلاح الرجال كانت الآية رقم 2 تصف هذا الأمر، لذلك سميتا (اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ) ولم يتم تسميتهما (زوجة نوح وزوجة لوط)، وبالآية الثالثة كانت المرأة هي المؤمنة وقد كانت زوجًا لكافر، لذلك سميت (اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ)، وهكذا يكون السياق القرءاني يستخدم كل لفظ ويعنيه بمدلول محدد بلا ترادف.

ثامنًا وعشرين: مرتين واثنتين وكرتين.

يقول تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ } غافر11.

ويقول سبحانه وتعالى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ } التوبة101.

ويقول جل في علاه:{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ } الملك4.

وقد يكون من المناسب أن نشرح في نهاية الأمر (وخارج السياق) معنى قوله تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } الدخان56؛ حتى لا يقول قائل بأن القرءان يذكر موتتين في سورة غافر، بينما يختزلهما في موتة واحدة بسورة الدخان؛ فالموتتين للكفار، والموتة الواحدة للمؤمنين.

من السرد السابق لآيات كتاب الله نجد استخدام الله لكلمة مرتين وكلمة اثنتين، ونظنهما بمعنى واحد، لكن الحقيقة أن لكل كلمة مدلولها اللغوي في المعنى المراد.

1. كلمة (مرتين).

المرّة تعني شكلاً معينًا أو نسقًا محددًا، فحين نقول (مرتين) فإنما نعني مرتين من ذات جنس أو شكل أو نمط الأمر السابق، ولا يكون في التكرار ملل أو تعب، ويكون بين المرتين فاصل زمني طال أو قصر، هذه هي عناصر تعريف كلمة (مرتين).

2. كلمة (اثنتين)

تعني تكرار أمر معين مع اختلاف الظروف والملابسات والزمن، وقد تعني اختلاف الجنس في كل وحدة من وحدات ذلك الأمر.

3. كلمة (كرتين).

تعني الإعادة مرتين في وقت واحد، ولا يجني صاحب الكرَّة إلا الفشل والتعب في كل كرَّة.

فبناء على ما تقدّم فإن الكرتين غير المرتين، وهما يختلفان عن كلمة اثنتين.

تاسعًا وعشرين: الفرق بين كلمتي (يمشي ويسير).

كلمة يمشي غير كلمة يسير، فالمشي يكون عموم الحركة على الأرض، أو لعله مشي مجازي ليس معناه قطع المسافات، لكن السير يكون لهدف محدد، وسوف ندلل بالآيات على هذه المعاني فيما يلي:..

1. كلمة يمشي... يقول تعالى:

- {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } الأنعام122.

- {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} النور45.

- {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً } الفرقان7.

- {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } الملك22.

فمن السياق السابق يتضح أن المشي يكون مطلق الحركة على كوكب الأرض بدون تحديد هدف للمشي، أو يكون مشيا مجازيا وليس حقيقيا.

2. كلمة يسير....يقول تعالى:

- {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الـدِّينَ لَـئِنْ أَنجَيْتَنَـا مِـنْ هَـذِهِ لَنَكُـونَنِّ مِـنَ الشَّـاكِرِينَ} يـونس22؛ **فكلمة (يُسَيِّرُكُم) تعني إلى أهدافكم.**

- **{أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِـي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الَّذِينَ كَـانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَـاراً فِـي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّـهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ}** غافر21.

فالسير لغرض النظر فـي عاقبـة السـابقين يكـون فـي حـد ذاتـه هدفًا، وهو الأمر الذي استخدم القرءان فيه كلمـة (يسيروا) أكثـر مـن مـرة، لكن نكتفي بالآية السابقة للتدليل على البيان.

ومن عجيب أنـك تجـد مـا نقدسـه مـن تفاسـير القـدماء ولا نرضـى عنـهـا بـديلا، ولا نجـد فـي أنفسـنا الكفـاءة لتفسـير عصـري يقـوم بالهـدف الذي تفهمه أجيالنا ذات الفكر المتطور، تلك التفاسير تراها تخلط كالعادة بـين المشـي والسـير، أو تراهـا لا تعـرف المجـاز عـن تعبيـر المشـي فـي مناسبة عنها في موضع آخر، فتجد الزمخشري وهو يتصور المشي علـى هدى أي . وفق قوله . علـى الأرض المستوية، ومـا كتـب ذلـك إلا لأنـه قـد قام بتحييد المجاز في التعبير القرءانـي فقـام بالتفسـير الحرفـي، وهـاكم مـا ذكره في تفسيره:[معنـى { يَمْشِـى مُكِبّاً علـى وَجْهِهِ}؟ وكيـف قابـل { يَمْشِـى سَـوِيّاً عَلَـى صـراط مُّسْتَقِيمٍ } ؟ قلـت : معنـاه : يمشـي معتسـفاً فـي مكـان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع، فيعثر كل ساعة فيخر علـى وجهـه منكباً، فحالـه نقيض حـال مـن يمشـي سـوياً، أي : قائمـاً سـالماً مـن العثـور

والخرور. أو مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو. ويجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسف، فلا يزال ينكب على وجهه، وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له]. **انتهى كلام الزمخشري. ووافقه في ذلك البيضاوي في تفسيره، أما ابن كثير فلم يتعرض أبدًا لتفسير كلمة (يمشي) بهذه الآية، فما رأي القارئ؟.**

ثلاثين:الفرق بين المس واللمس.

لقد وردت الكلمتـان (المـس واللمـس) بـالقرءان، لـذلك يحسـن أن نسـتعرض كلتيهمـا فـي بعـض مواقعهمـا بـالقرءان، فـإن ذلـك ممـا ييسـر استيعاب الفرق وذلك فيما يلي:.

***يقول تعالى في شأن المس:**

1. {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } آل عمران120.

2. {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } آل عمران140.

3. {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ } الأنعام17.

4. {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } يونس107.

5. {وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ } الأنعام49.

6. {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَركَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ } هود48.

7. {لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ } الحجر48.

8. {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } الزمر61.

9. {الَّـذِينَ يَـأْكُلُونَ الرِّبَـا لاَ يَقُومُـونَ إِلاَّ كَمَـا يَقُـومُ الَّـذِي يَتَخَبَّطُـهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْـعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّـهِ فَانتَهَىَ فَلَـهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّـهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّـارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} البقرة275.

10. {لَّـوْلاَ كِتَـابٌ مِّـنَ اللّـهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَـا أَخَـذْتُمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ } الأنفال68.

11. {وَإِذَا مَـسَّ الإِنسَـانَ الضُّـرُّ دَعَانَـا لِجَنبِـهِ أَوْ قَاعِـداً أَوْ قَآئِمـاً فَلَمَّـا كَشَفْنَا عَنْـهُ ضُرَّهُ مَـرَّ كَـأَن لَّـمْ يَدْعُنَا إِلَـى ضُرٍّ مَّسَّـهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } يونس12.

فالمتدبر للآيات يجد أن المس يكون دوما ضررًا فـي غالبـه، أو تَحَدُّثا عن ضرر، ويكون معنويا دوما، وقد يكون ماديا، ويكـون بالـدنيا أو الآخرة أو كلتيهما.

*ويقول (سبحانه) في شأن اللّمس.

1ـ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـواْ لاَ تَقْرَبُـواْ الصَّـلاَةَ وَأَنـتُمْ سُكَارَى حَتَّـىَ تَعْلَمُـواْ مَـا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّـىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَـى أَوْ عَلَـى سَفَرٍ أَوْ جَـاء أَحَـدٌ مِّنكُم مِّـن الْغَـآئِطِ أَوْ لاَمَسْـتُمُ النِّسَـاء فَلَـمْ تَجِـدُواْ مَـاء

فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً } النساء43.

2- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} المائدة6.

3. {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} الأنعام7.

4. {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً } الجن8.

فالمتدبر يجد اللمس ماديا وهو بالدنيا فقط.

وأيضا تجد تفاسيرنا وقد خلطت بين المس واللمس، ولم تدلُ بدلوها في الواقع المعنوي أو المادي للعذاب، ولا عما إذا كان الأمر ينصرف في تباين بين الدنيا والآخرة من عدمه، مما يُفقد القرءان حلاوته وحقيقة مراده ومقصده.

حاديًا وثلاثين: الفرق بين الخشية والخوف.

كثيرا ما نقول فلان يخشى من فلان، بمعنى أنه يخاف منه، وهذا خلط في فهم دلالات الكلمات، وبالقرءان تكون كل كلمة منهما لها دلالتها الخاصة، فالخشية تكون عن إرادة مختارة، لكن الخوف يكون عن قهر للإرادة، فالخشية هي ما كان عن يقين صادق بعظمة من نخشاه، أما الخوف فقد يكون عن تسلط بالقهر والإرهاب، وقد يكون ناجما عن

ضعف الخائف، حتى وإن كان يخاف مما لا يُخوِّف أحدا، فالخشية أعلى مرتبة من الخوف، لأنها ثمرة اليقين وصدق الانفعال الناجم عن ذروة الإجلال لله.

وخشية الله منزلة رفيعة، يختص بإدراكها فئة معينة من الناس هم العلماء وأولو العقول والألباب من المؤمنين والمتبعين للذِّكر، وفي ذلك يقول تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } فاطر28.

والله (سبحانه) لا يبغي فينا الخوف، لكنه يريد ان نخشاه، ويقول تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى } النازعات26؛ لكن لا يمنع أن يخوف الله عباده أحيانا؛ ليكون ذلك زجرة لهم، فيقول سبحانه وتعالى : {لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ } الزمر16.

وليس معنى ذلك ألا نخاف من الله، لكنه يجب أن يكون خوفا ممزوجا بالحب.

والخوف من الله مقام الصالحين في بداية صلاحهم، وهو أول مراحل الوصول إلى درجة الخشية، لذلك فقد حمد الله الخائفين، ووعدهم الأمن في الدنيا والجنة في الآخرة.

فعن الدنيا يقول سبحانه: {وَلَنُسْكِنَنَّـكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } إبراهيم14.

وعن نعيم الآخرة للخائفين يقول تعالى بسورة النازعات: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى{40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى{41}.

ثانيا وثلاثين: الحياء والخجل.

الخجل هو إحساس يشعر معه الفرد لو أنه انسحب أو لم يكن موجودا بالموقف الحادث، لكن الحياء هو طبيعة في الشخص، تكمن في كونه لا يأتي بأفعال بالمستقبل تسبب له أو للآخرين خجلا، بما خلاصته أن الخجل يكون في أمر حادث، لكن الحياء يكون من أمر لم يحدث، وإن كان ممكنا حدوثه.

ولقد قال تعالى: {فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } القصص25.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .... وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ......} الأحزاب53.

وعلى ذلك فالحياء يكون في الطبع، والخجل يكون حادثا عرضيا وقت توافر ما يؤدي إليه.

ثالثاً وثلاثين: الرجاء والتمني.

لنتبين الفرق بينهما سأطرح أمثلة من القرءان فيما يلي:.

1. يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } البقرة.218

2. ويقول سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} الإسراء.57

3. ويقول جلّ في علاه: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً } النساء123.

4. ويقول الله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } الحج52.

فالرجاء هو استهداف حصول أمر مشروع في خشوع، وتجد الذي يرجو شيئا يسعى لتحقيقه بكل السبل الشرعية الممكنة، لكن التمني قد يكون لأمر مشروع أو غير مشروع، وهو إرادة الحصول على أمر يحتاج إلى جهد، بينما قصّر جهد العبد أو عزيمته لينال ما يتمناه، وربما قد يبذل المتمني بعض الجهد للوصول إلى أمنيته بأية وسيلة حتى وإن كانت غير مشروعة.

وقد نـهانـا الله عن بعض التمنـي، لكنـه لم ينـهنا عن الرجاء، فقـال تعالـى: {وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِـهِ بَعْضَكُمْ عَلَـى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّـهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّـهَ كَـانَ بِكُـلِّ شَـيْءٍ عَلِيمـاً } النسـاء32؛ ويقـول رسـول الله ε:(لـيس الإيمان بالتمني).

رابعًا وثلاثين: الاكتمال والتمام.

يقول تعالى: { .... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً .... } المائدة3؛ **فالكمال والاكتمال يكونان دوما في الظاهر، أما التمام فيكون بالباطن، لذلك تجد في مصر من يشبع أو يرتوي يقول [أنا كده تمام] ويشير إلى صدره أو بطنه، بما يعني أن التمام يكون بالداخل.**

ويقول تعالى: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } يوسف6.

ويقول سبحانه: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً } الفتح2.

فعلم تأويل الأحاديث أمر حدث داخل نفس سيدنا يوسف وخارج وعيه، فهو لا يعلم كيف تعلم تأويل الأحاديث ولا بذل في ذلك جهدا، وبالآية الثانية كانت الهداية إلى الصراط المستقيم هي صورة إتمام النعمة على سيدنا محمد وعلى كل من يحذو حذوه، والهداية أمر غير مرئي.

خامسًا وثلاثين: الحسرة والندم.

بين الحسرة والندم بون شاسع، لكن يظن البعض بترادفهما، فالحسرة تكون على ما فاتك حالا، وأنت تعاينه وهو يفوتك، ولا تتمكن من إدراكه، بينما الندم هو ما كان بينك وبينه أمد بعيد ولا تراه، ولا يمكنك اللحاق به أو استعادته.

ويمكن بيان الفرق من خلال نصوص كتاب الله فيما يلي:.

فبشأن الحسرة يقول تعالى:

{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } مريم39.

ويقول (سبحانه) بسورة الزمر: { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ{55} أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ{56} أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ{57} أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ{58}.

ويقول جل في علاه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } آل عمران156.

ويقول الرحمن الرحيم: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } الأنفال36.

أما بشأن الندم، فيقول تعالى:

{وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ } يونس54.

{وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } سبأ33.

وهكذا يتبين من السرد السابق أن الحسرة تكون بالدنيا أو ساعة الوفاة، أما الندامة فتكون يوم القيامة فقط.

وبالطبع لم تُفرِّق التفاسير القديمة (التي يُقدّسها البعض ويعتبرونها سقف العلم والعلماء) بين الحسرة والندم، مما أفقد المعنى

القرءاني حلاوته وطلاوته، ولن أنقل مقتطفات مما هو مدون بتلك التفاسير، فما ذكرته سلفا في بيانات متعددة فيه الكفاية، وعلى من يريد التحقق الرجوع للتفاسير في كل بند من البنود ليكون من الآكدين.

سادسًا وثلاثين: الفرق بين الروح والنفس.

إن الخلط بين الروح والنفس قد لازم الدعاة كثيرا، وتأزم الموقف أكثر، فقالوا على من يحتضر أنه روحه تطلع، وتوارى معنى النفس في مسألة طلوع الروح، وظنوا أنها تخص أمور الحياة فقط، وكثر الخلط بين الناس في هذا الأمر، لذلك يجدر التساؤل عن تمييز فاصل لكل منهما.

فالنفس هي التي تدخل وتخرج، وتطلع وتنزل وليست الروح، فالله يقول بسورة الفجر عن من تُقبض نفسه (وليس من تقبض روحه لأنه لا يوجد شيء اسمه قبض الروح): { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ{27} ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً{28} فَادْخُلِي فِي عِبَادِي{29} وَادْخُلِي جَنَّتِي{30}؛ فالنفس هي التي ترجع وهي التي يتم قبضها وليست الروح.

ويقول تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } الزمر42؛ فمن يتدبر يعلم بأن النفس هي التي تموت، وتخرج وتعود، وهكذا.

ودليل ثالث عن موت النفس، وليست الروح، حيث يقول تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ } آل عمران145؛ ودليل رابع حيث يقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } لقمان34؛ فالنفس هي التي ترجع، وهي التي تعود حين تستيقظ من نومك، وهي التي تموت، وهي التي تُقبض.

والنفس هي المختصة بكل الأعمال والأقوال والحركات الإرادية، وهي التي تسعدك في الدنيا والآخرة، وأيضا يمكن أن تكون سبب شقاء العبد، لذلك يقول (تعالى) بسورة الشمس: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا{7} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا{8} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا{9} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا{10}.

أما الروح فهي تخص كل الأعمال غير الإرادية، مثل تشغيل التنفس وعضلة القلب، وعمل المعدة لهضم الطعام وغير ذلك، كذلك فإن الروح هي التي تحمل الصفات الوراثية للإنسان، فتنتقل من جيل الآباء إلى جيل الأبناء.

وتفنى الروح بمجرد موت الإنسان وطلوع نفسه ومغادرتها الجسد، فالروح تابعة لإرادة ومصير النفس، فمن أرادت نفسه الانتحار،

فإنه ينتحر بإرادة نفسه، فتموت الروح، أما النفس فيعيدها الله بجسدك عند البعث، وحينئذ تعود إليه روح أخرى غير تلك التي كانت لديه، ليحس الإنسان بالموجودات حوله، لكن إحساس الآخرة، والعمل غير الإرادي للأعضاء يختلف باختلاف تلك الروح الجديدة ذات الخصائص العالية، لذلك يقول (تعالى) في شأن البصر يوم القيامة: {لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } ق22؛ وسواء أكان البصر الذي تعنيه الآية إدراك المحسوسات، أو فهم الحقائق، إلا أنه يدرك أكثر من إدراكه إبان حياته في الدنيا، لذلك يحس الكافرون بعذاب جهنم أكبر إحساس، أي أعلى بكثير من أحاسيس الدنيا، فالإحساس أحد وظائف الروح.

ولما كانت الروح تحمل الصفات الوراثية ومأمورة من الله بالوظائف غير الإرادية بالجسم، لذلك فهي من عالم الأمر، لذلك يقول تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً } الإسراء85؛ أما النفس فهي من عالم الخلق.

وهكذا تجد أن التدين الشعبي هو المسيطر على أفكار وعقائد أكثر الناس، ولابد أن تكون قد تحققت من أن جميع المرويات التي تقول بخروج الروح إنما هي من المدسوسات على رسول الله، ولعلّك تعاين الناس وهم يدينون بدين الآبائية فيما ذمّه الله حين ذكر مقولتهم التي يُعذّبون بها لأنهم مارسوها في حياتهم واقعا عمليا وعقائديا (هذا ما

ألفينا عليه آباءنا)، وتجد تفسيراتنا التي قدسناها وقد خلطت بين الروح والنفس، وما ذلك بخطأ المفسرين، فهم لم يحملونا لنُقدّس أفكارهم وأعمالهم، فقد اجتهدوا قدر طاقاتهم، لكننا نحن الذين أصابنا جمود الفكر وحب النقل بلا عقل، لذلك أصبحنا كما ترى.

لذلك أهيب بأهل الإسلام أن يركنوا إلى القرءان ولا يهجروه حين الاستدلال على أمر من الأمور، ولا يستسهلون ما ألفوا عليه ءآباءهم من واستسهال أخذ الدليل من السنة النبوية المطهرة.

ولا يجب أبدا أن نتخذ تلك الشعارات الضالة التي يتشدق بها بعض الدعاة من أن:

- [السنة النبوية قاضية على القرءان].
- [السنة النبوية ناسخة للقرءان].
- [السنة النبوية تُحرِّم ما سكت القرءان عن تحريمه].

فما هذا كلّه وأشباهه إلا نهج شياطين الإنس، مهما كانت مؤهلاتهم الفقهية، أو ألقابهم العلمية أو الاجتماعية، أو الدينية.

سابعًا وثلاثين: بين الذِّكر والتسبيح.

إن التّصور الفكري الإسلامي الوارد بكثير من مراجع الفقه والحديث، الذي دمج بين التّسبيح والذّكر في قراب واحد دون تفرقة بينهما، بعث في فكر الأمّة نسيجا من خليط لا يجوز دمجه، ولا يجوز إخراجه للوصول لمعنى مستساغ للآيات، وهو ما تجده جليا بصفحات تلك المراجع.

فلقد فرَّق القرءان الكريم بين الذّكر والتّسبيح، فقال (تعالى) على لسان نبيه موسى في سورة طه: (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً{33} وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً{34}) وكل منهما في آية مستقلّة كما ترى.

كما قال (تعالى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً{41} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً{42}) الأحزاب . وكل منهما (الذّكر والتسبيح) في آية مستقلّة.

ولقد كان لنشوء فكر وثقافة دمج الذّكر والتسبيح في قراب واحد في تلك المراجع أثره السيئ على الأمّة، فحين أخذ الناس عن تلك المراجع عدم الفصل بين الذّكر والتّسبيح تأثّر مذاق وشكل الدين في حياة المجتمعات الإسلامية، وفقد النّاس طريقة الوصول إلى درجة الإحسان التي قال عنها النبي صلّى الله عليه وسلّم: (اعبد الله كأنك

تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وأذاق النّاس بعضهم بأس بعض، وظلّ الجميع يشكو من الجميع.

1. فالذّكر طريقة حياة وفقا لإرادة المعبود جلّ في علاه في كلّ وقت وحين، بينما التّسبيح هو حمد وتعظيم وتنزيه قولي لله ربّ العالمين في أوقات مخصوصة.

2ـ والذّكر صورة تنظيمية لكل شئون الحياة، وليتأمّل المسلم قوله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فقنا عذاب النَّارِ }آل عمران191 . أمّا التسبيح فهو صورة قوليه بألفاظ محددة.

3. أمّا التسبيح (وهو أمر قولي) فهو يساعد على التدريب على ذكر الله، لكنّ ذكر الله أعمّ وأشمل وأعلى قدرا من التّسبيح، والذين دمجوا التسبيح في الذّكر والذّكر في التسبيح لم يتلمّسوا مراد الله من قوله تعالى: ({وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} الذاريات56 . فتراهم وقد تصوّروا تسبيحاتهم أنها هي الذّكر المعني بالقرءان في قوله تعالى:(....اذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ } الأنفال45؛ أو قوله تعالى:(...اذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } الأعراف69؛ أو قوله تعالى: (وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ..... } المائدة7....إلخ، وترى النّاس تتعجّب من قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات:56)، والتعجب يكون حين تصوروا وحصروا العبادة على سجادة صلاة أو داخل مسجد ، فتصوروا الله يأمرهم بالانقطاع عن العمل وعن الحياة، وما ذلك إلاّ من القصور الفكري عن معنى ذكر الله ومعنى العبادة ومعنى الإخلاص.

4 . والذّكر صورة من صور الحياة الفكرية للقوالب البشرية المؤمنة إيمانا حقيقيا، وهو في ذات الوقت سموّ بالروح، وهو صورة من صور الفعل والقول والصمت في كل أوقات الحياة، فالتّفكّر صورة من صور الذّكر لقوله تعالى: (......وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } آل عمران191. أمّا التسبيح فهو صورة قولية في أوقات محددة بعينها.

5 . والتسبيح شأن تشترك فيه الخلائق كلها لقوله تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً } الإسراء44.

أمّا الذّكر فهو شأن خاص بالمؤمنين من البشريّة المكلّفة به على أسرها؛ لأنه فريضة على المخيّرين، حيث يقول تعالى: ({إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً* لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } الأحزاب72&73.

فعلى ذلك فإنّ من طمس الحقائق دمج الذّكر مع التسبيح حتّى طغا التسبيح، وانطمس الذّكر، وتلك هي حقيقة كثير من الممارسين للتسبيح وهم يظنّون أنهم يذكرون الله، لذلك فلا عجب أن تراهم في كل محافل المعاصي والغلظة، بينما هم يتصوّرون ويتشدّقون بأنهم الذّاكرون، وتراهم وقد أطفأ القصور الفكري جلاء حقيقة الذّكر عندهم فهم يتصوّرون أنهم من الذّاكرين الله كثيرا والذّاكرات لصلوات يؤدّونها في المساجد أو لتسبيحات وأوراد معينة في أوقات مخصوصة، وما ذلك إلاّ لانطماس المعنى الحقيقي لذكر الله في أفهامهم.

أمّا الذين لا يسبّحون ولا يذكرون الله إلاّ قليلا بينما هم يعملون ابتغاء رضا النّاس، فهؤلاء أقرب إلى النفاق العملي منهم إلى الإيمان حيث يقول ـ تعالى ـ في شأن المنافقين: ({إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً } النساء142.

فالمسلم الذّاكر تجد له قلبًا خاشعًا، وفكرًا ذاكرًا، وضميرًا شاكرًا، ونفسًا صابرة محتسبة، وهذا المسلم تنشأ له آلية التصدي للفتن، وذلك بالامتناع عن الوقوع في المعاصي لوجود واعظ له في نفسه، يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، وحتى إن وقع في المعصية فإنك تراه

وهو معذب بسياط ضميره ذلك لأنه أوّاب مهما أذنب، وذلك ما أورد الله في شأنه بأول سورة القيامة: (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ{1} وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ{2}) وتجده وقد نشأت له خصيصة الصّبر مع الرضا على البلاء، ثم وفي مرحلة تالية تنشأ له خصيصة الحقيقة الإلهية لحبّ الله ـ ولا أعنى هنا حبّ الله، إنما أعنى حقيقة حبّ الله ـ وهى إكسير لذّة المجتبين لهذه النّعمة الكبرى.

لذلك فمن حسن إسلام المرء التدرّب على الانشغال بالله في كل دروب حياته (وليس من خلال حضرة ذكر في وقت محدد، ثم ينقضي الأمر) فهذا هو أوّل مراتب الذّكر، فالذّاكر الحق ينشغل بالله حال أن يأوي إلى فراش نومه متوجها إلى الله، يجود بنفسه برضا إذا ما أمسكها الله حال نومه، ثم هو يتحرّى أن ينضبط ليقوم من نومه مع موعد صلاة الصبح في توقيت الفجر؛ ليستيقظ ملبّيا نداء ربه، ليصلّى إذا ما قدّر له مولاه الحياة، ثم يبدأ يومه وهو يضع رضا ربه نصب عينيه في كل قول أو فعل أو فكر حتى ينتهي يومه؛ فيأوي إلى فراشه ....وهكذا؛ ثم هو يتعايش دوما مع الله ويستشعر قرب مولاه فيظل هذا القرب يدنوا رويدا رويدا حتّى يصبح العبد عبدا ربّانيا.

وإن الله حين قال جل في علاه: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لمن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ } التكوير27&28؛ يعنى ذلك أنّ القرءان منهاج حياة، وذلك هو الهدف، أمّا الوسيلة في أن يحيا العبد مستقيما على

منوال القرءان فهي الترتيل والتّدبّر، ولكن للأسف الشديد فقد اتخذ الناس من الترتيل بلا تدبّر وبلا منهجية من تفعيل القرءان في واقع الحياة هدفا لهم رغم أنه وسيلتهم للاستقامة بينما شريعتهم لم تكن أبدا غايتها القراءة كما يفعلون.

أمّا التسبيح فهو صورة صغرى من صور الذّكر، فلا يمكن أن نتصوّر جرّاحا يقوم بعمله وهو يسبّح، إنما يمكن أن يكون ذاكرا لله إن قصد بعمله وجه الله، كما أنّ إبداعه في عمله يكون إبداعا واستغراقا في ذكر الله بما يعنى أنّ المسلم الذّاكر بعيد دوما عن الغفلة عن ذكر الله وقريب دوما من الله... وفي ذلك كنت دوما أقول لتلامذتي (تعامل مع الله الواحد الأحد يكفيك الله همّ كل أحد)، والمسلم الحق يسير على نهج تعظيم حبّ الله في نفسه اليوم عن يوم الأمس، وسبيله في ذلك هو الذّكر بمعنى الحياة لله مستحضرًا قوله تعالى:. {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام162.

كما أن الذّكر أحد أسباب حياة القلوب فإنّ أهل الكتاب لماّ قست قلوبهم عن ذكر الله ذمّهم الله في القرءان، هذا فضلا عن أنه بيّن للمسلم أنّ الطريق إلى التقوى يمرّ عبر بوّابة الذّكر، وبيّن أنه لا يكفي المسلم أو المؤمن المخلص إسلام أو إيمان.... بل لا بد أن يخضع قلبه للخشوع الدائم عبر ذكر الله وفي ذلك قال ـ تعالى ـ في سورة الحديد: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا

يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ{16} اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ{17}.

فالمتدبّر للآيتين السابقتين يجد أنه ما كان الله ليضع في سياق الآيتين موضوع إحياء الأرض بعد موتها إلاّ لأن الذّكر حياة للقلوب، وقد ذكر الله ذلك بعد أن أخجل المؤمن بضرورة أن يأتي الوقت الذي يخشع فيه لله مما دلّ أيضا على أنّ الإيمان ليس كافيا للوصول إلى درجة الخشوع بل أنّ على المرء أن يستدفع إيمانه إلى طريق الخشوع عبر ذكر الله الدائم الذي سردنا شكله وطريقته أنّه الحياة لله ،وتأمّل قوله تعالى (ألم يأن) الواردة في أوّل الآيتين لترى حقيقة تلطّف الله مع عبده في الطلب فلابد علينا جميعا أن نصيح (أفلا نستحي ..أفلا نستجيب لذكر الله)!!!.

فالذّكر هو الحقيقة الكبرى في كيان سعادة البشرية، فهو منبع ومنتهى السعادة في الدّارين للسالكين في رحابه، ولا يمكن بحال أن نقوم باختزاله في تسبيحات أو حضرات، يقوم بها البعض وهم يتصوّرون أنّهم يذكرون الله كما أراد وكما بيّن في كتابه، فمتى كان الله غائبا عن المؤمن التّقى حتى يستجلب نفسه في حضرته، أو استحضاره لله ربّ العالمين في نفسه، فيسبّح الله ويذكر الله ويختزل ذكر الله المطلوب آناء الليل وأطراف النهار في حضرة تبدأ وتنقضي بعد ساعة أو سويعات.

فذكر الله المطلوب هو الذّكر الكثير، ويكون من قيام ومن قعود وعلى جنب، ويكون بالفكر وباللسان وبالجوارح وفي كل وقت وحين، ولا يكون للمرء ذلك إلاّ بتفعيل كتاب الله في كلّ مناحي الحياة، وبذلك نصل إلى درجة الإحسان التي نوّه عنها الحديث عن الصّادق الأمين صلّى الله عليه وسلّم (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي.

ذكر الله الأولى بالرعاية.

قدّمنا أن الذّكر أعم وأشمل من التّسبيح، وهو ما ورد بقوله تعالى :. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الأحزاب:41&42)؛ فدلّ هذا على أن الذّكر غير التسبيح وإن كان من جنسه.

1. ولقد ذم الله أقواما" في كتابه، لأنهم يذكرونه قليلا" فقال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً) (النساء:142).
2. ولقد نبأنا الله أن الشياطين تتنزل على خلقه إلا فئة واحدة بيّنها في سورة الشعراء حيث قال جل جلاله: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (الشعراء:227).

فنرى أيضا أن الله أكّد على ضرورة الذّكر الكثير في الآية السابقة حيث قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً(الأحزاب:41).

3. **وليعلم المسلم أيضا أن الحكمة التي كان عليها رسول الله أنها هي أيضا من ذكر الله وأنه مطلوب الأخذ بها بقوة حيث يقول تعالى: (....... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة:231).**

ولقد أمرنا الله أن نذكر آلاءه، فقال: (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (الأعراف:74) .

4. **وقد ذكر الله مهمة إبليس أنها الصد عن ذكر الله حيث قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (المائدة:91)؛ فمهمة إبليس صد البشر عن ذكر لله، ومهمة البشر ذكر الله، ومن يترك الذكر يلتهمه شيطان البشر، وفي ذلك يقول الله {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}الزخرف36 .**

والآيات كثيرة تدل على تكرار التنبيه على ذكر الله الكثير حال القيام وحال القعود وعلى جنب، وأن الله ما خلق الإنسان إلا لعبادته ،ثم إنك تجد آية أخرى يقول الله فيها: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ*رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (النور:36&37).

*** لقد تصّور الناس أن ذكر الله منفصل عن التجارة والبيع وأعمال الحياة بأسرها، واتخذوا مناهج في التّسبيح والخلوة والعبادة ظنّا منهم أن منهاجهم هو الذّكر المعنى في القرءان ، لكن ذلك خطأ فادح، فكما أن التّسبيح من ذكر الله ـ كما نوهنا ـ فإن الصلاة أيضا" من ذكر الله والتجارة، إن قصد بها عمارة الأرض ورعاية من يسأل المسلم عنهم ـ سواء أكان تاجرا أم غير ذلك ـ من أبنائه وزوجاته وأقاربه فهي من ذكر الله (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (النور:37)؛ والكلمة الطيبة صدقة وهى من ذكر الله، فكل ذلك يكون من ذكر الله، وفي ذلك يقول تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ*لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام:163).**

فدل ذلك على أن الحياة والممات بكل ما فيهما من صنوف التعامل هي لله رب العالمين، وهى بالتالي تكون من ذكر الله، حيث يقول

تعالى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك:2).

فإحسان العمل له درجة، وذلك من قوله تعالى: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (الأحقاف:19).

وإحسان العمل من أهداف الحياة، وهو من الذّكر، وذلك من غزارة رحمة الله على عباده فلعلّ الراعي البسيط أو الذي لم ينل قسطا من العلم أو الثقافة له نصيب من ذكر الله بحسن سريرته رغم كونه لا يسبّح ولا يدعو بالمأثور كالمجتهدين من الأمّة.

ولقد اختص الله العمل بالمراقبة، حيث يقول سبحانه: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة:105).
ويقول تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) (فاطر:10).

فالعبد يلبس ثيابا" نظيفة كي يظهر بمظهر المسلم النّظيف وفي نيته أنه يلبسه نظيفا" لأن الله ـ تعالى ـ يحب التّوابين ويحب المتطهرين، فهو بذلك ذاكر لله بلباسه، والذي يستحم أيضا" لله فهو ذاكر لله باستحمامه؛ لأن الله يحب التّوابين ويحب المتطهرين، والذي يأكل ليتقوى ويصون نعمة الله في الصحة فهو ذاكر لله بأكله ....وهكذا.

وبهذا التناغم بين كل ما في الحياة من أعمال وأقوال وذكر الله الذي يعنيه الله وبين معنى أنه ـ سبحانه وتعالى ـ خلق الناس لتعبده فقط، ويكون الذكر الكثير هو الحياة بأسرها شهيقها وزفيرها، فلابد أن تنطبق تصرفات العبد الخارجية منها على مراد الله، وتنطبق إرادته الداخلية على ما يحبه الله، فيكون بذلك ممن يذكرون الله قياما" وقعودا" وعلى جنوبهم، ويكون ممن عناهم المولى ـ عز وجل ـ بكلمة (إلا ليعبدون) فما ينفلت العبد أبدا" من طاعة الله، حتى وإن ارتكب المعصية فإنه يعاجل بالتوبة، فتتبدل سيئاته حسنات، وتلكم هي العبودية الحقَّة وحقيقة الذكر.

ثامنًا وثلاثين: بين الشّكر والحمد.

ولعلّ القارئ لا يدرك أنّ هناك فرقًا بين الشّكر والحمد، فالشّكر هو ذلك الخضوع القلبي والفكري الملازم للمسلم باستمرار، إن هو استمرّ في الإحساس الدائم بنعم الله عليه، وقليل من النّاس من تجده على هذه الحال، حيث يقول تعالى: ({....اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } سبأ13.

والشكر تراه غالبا في صورة الحياة وقد اتخذ شكلا عمليا يتّسم به المسلم، أمّا الحمد فغالبا ما يكون باللسان وفي أوقات ظهور النعمة على العبد واستشعار العبد بها، وقد يبرز الفارق من خلال قوله تعالى: {.... أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } لقمان14؛ فالشكر كما تبيّنه الآية نوع من أنواع الخضوع الدائم لله وللوالدين.

والشكر خصيصة من خصائص بني الإنس، لكن الحمد صورة يشترك فيها مع الإنسان كافة الخلائق حيث يقول تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً } الإسراء44.

ويقول تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ } الرعد13.

ولتبيان أن التسبيح يقترن بالحمد وأنه في أوقات محددة يقول تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى } طه130؛ ويقول تعالى: ({فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر55؛ أما عن ارتباط الذّكر بالشكر يقول تعالى {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ } البقرة152.

وحيث إن الشكر ـ كما أسلفنا ـ حالة مستمرة في الحياة لاستشعار الشاكر بنعم الله دوما عليه، لذلك فهو يرتبط بالذكر، وحيث أن الحمد حالة استنفار لمشاعر الشكر في أوقات محددة وبألفاظ يتم التلفظ بها باللسان، فيكون مرتبطا بالتسبيح .

لذلك فإن عباد الله الشاكرين قليل، فأكثر الناس لا يشكرون لقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ } غافر61 .

تاسعًا وثلاثين: الفقير والمسكين.

مما فسد به الاستدلال ـ وللحق ليس بكل التفاسير بل ببعضها ـ الفرق بين الفقير والمسكين، فلقد مايز الله بين الفقراء والمساكين فذكر كلاً منهما على انفراد؛ ليبين تفرد كل منهما بمعنى خاص، فتدبر قوله

تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} التوبة60 .

فالفقير هو الذي لا يملك ولا يجد، أما المسكين فهو الذي يملك ولا يجد، وتدبر قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عن الفقير: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ } الحج28؛ لكن بشأن المسكين يقول تعالى: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً } الكهف79.

فتدبّر ـ رحمك الله ـ بآية سورة التوبة كيف قدّم الله الفقراء على المساكين في العطية، وتدبّر كيف وصف الفقراء بأنهم بؤساء بآية سورة الحج، وتدبر كيف ذكر المساكين بأنهم يملكون سفينة، ومع هذا فهم مساكين لا يجدون الطعام، كل هذه فروق بين الفقير والمسكين، بما يعني أن الفقر حالة مزمنة تحتاج لحل دائم وسعي دائب لإزالته، لكن المسكين تكون حالته واحتياجه أمرًا عارضًا.

ومن أمثلة المساكين في حياتنا من تعاونًّا جميعا ليكونوا من فئة المساكين، وهم ملاك العقارات السكنية التي صدرت بشأنها نصوص مواد قانونية تحدد قيمة الأجرة المستحقة لهم وقامت بتثبيتها مهما مرت السنوات.

ولم تكتف تلك القوانين الصادرة باسمنا بذلك، بل قامت بتوريث أبناء المستأجر وزوجته لسكنى العين دون أبناء المالك، مما أدى إلى خلق فئة من المساكين يملكون عقارات بالملايين لكنها لا تدر عليهم ما يكفيهم نذرا يسيرا من ثمن الدواء أو العلاج فضلا عن الطعام والشراب، لذلك فإن الظلم الواقع عليهم بتعاوننا جميعا يثير غضب الرب علينا، ولا حول لا قوّة إلا بالله.

أربعين: الفرق بين الذّكر والقرءان والكتاب.

يحلو للفقهاء أن يُفسّروا الآية الكريمة: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } الحجر9؛ على أن الذّكر هو مجمل آيات القرءان، وقد ورد هذا المعنى بتفسير الجلالين، فذكر ما يلي:[..

(نزلنا الذكر) القرآن (وإنا له لحافظون) من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان]، وذكر التفسير الميسر:[إنَّا نحن نزَّلنا القرآن

علـى النبـي محمـد صـلى الله عليـه وسـلم، وإنَّـا نتعهـد بحفظـه مِـن أن يُـزاد فيـه أو يُـنْقَص منــه، أو يضـيع منـه شــيء.]. **فهــل لاحظــت وتأكدت أنـهم خلطوا بين الذّكر والقرءان وحسبوهما شيئا واحدا؟.**

إن على المسلم أن يعلم بأن الكتاب الذي أنزل على رسول الله به قرءان، وبه ذكر، وبه آيات هن أم الكتاب، وبه الفرقان، وكل منها لـه مهمة وله تمييز داخل دفتي الكتاب الذي بين أيدينا.

ولنبـدأ أولا بالـذِّكر، فـإن علــى المسـلم أن يتـدبر قـول ربنـا تبـارك وتعــالى: {ص وَالْقُــرْآنِ ذِي الــذِّكْرِ} ص1؛ ليجــد أن القــرءان أمــر، والـذّكر جـزء متعلـق بـذلك الأمـر، كـذلك حـين يقـول تعـالى: {وَمَـا عَلَّمْنَـاهُ الشِّـعْرَ وَمَـا يَنبَغِـي لَـهُ إِنْ هُـوَ إِلَّا ذِكْـرٌ وَقُـرْآنٌ مُّبِـينٌ } يـس69؛ فـدل هـذا علـى ان الـذّكر غيـر القـرءان، وهـو برهـان ثـان، ولقـد سـبق وفرقنــا بــين الــذكر والتســبيح فــي البنــد الثالــث والعشــرين، فــيمكن الرجوع إليه ليكتمل البيان في ذهن القارئ.

كما أن الكتاب غير القرءان، فالكتاب أشمل من القرءان وأعم، بمـا يعنـي أن القـرءان والسبع المثـاني جـزء مـن الكتـاب، والفرقـان غيـر الكتاب، وكل ذلك أوضحه القرءان وقام عليـه بـاحثون لكن توقفت عجلـة فكر فقهـاء عصرنا عنـد حدود فكـر وعلـم علمـاء القرنين الثالـث والرابـع الهجريين، وسوف أجوب مع القـارئ ببعض آيـات كتـاب الله التـي تؤكـد هذه الفروق، أما تفصيلاتها ودلالاتها فلن أمسها هنـا، لأن ذلـك الأمـر

يحتاج شرحا مطولا قام به باحثون أمثال المفكر السوري/محمد شحرور في كتابه (الكتاب والقرءان).

فمما يدل على أن الكتاب غير القرءان قوله تعالى: {الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ}الحجر1، وتدبر قول ربنا ـ سبحانه ـ بسورة الواقعة: { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ{77} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ{78}؛ ألا يدل ذلك أن القرءان جزء من الكتاب!؟.

وفي شأن إثبات الفرق بين السبع المثاني والقرءان وأنهما جزأين يحويهما الكتاب المنزل على سيدنا محمد، يقول تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ } الحجر87؛ ألا يدل سياق الآية على أن الله أعطى رسوله السبع المثاني وأعطاه القرءان وأنهما يتمايز بعضهما عن بعض؟!.

كما أن الفرقان غير الكتاب وغير القرءان، وإن كان الكتاب يضم الجميع، لقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً }الفرقان1؛ وقد تم إنزال الفرقان على الأنبياء قبل نبينا محمد، وذلك لقوله تعالى: {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} البقرة53؛ ويقول سبحانه: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ } الأنبياء48؛ فمما سبق تجد أن الفرقان نزل على سيدنا محمد كما نزل على موسى وهارون.

ويقـول (تعـالى) أيضـا: { نَـزَّلَ عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ بِـالْحَقِّ مُصَـدِّقاً لِّمَـا بَـيْنَ يَدَيْـهِ وَأَنـزَلَ التَّـوْرَاةَ وَالإِنجِيـلَ{3} مِـن قَبْـلُ هُـدًى لِّلنَّـاسِ وَأَنـزَلَ الْفُرْقَـانَ ....{4} آل عمران؛ ألا يـدل سـياق القـرءان فـي صـراحة أن الله ينــزل الفرقــان علــى كـل الأنبيــاء، وأنــه شـيء متميـز عـن التوراة والإنجيل والقرءان؟!.

وحتـى لا أخـوض فيمـا خـاض فيـه الـبعض، واختلفـوا فـي بيـان ووظيفـة القـرءان، والسـبع المثـاني، والفرقـان، والكتـاب، والآيـات المسماة بـأم الكتـاب، حتـى نميـز بـين آيـات أم الكتـاب وبـاقي الكتـاب، فلقـد قـال تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنـزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْـهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَـاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْـهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ } آل عمران7؛ ويـا تـرى مـا الآيـات المتشـابهات التـي حـذرنا الله مـن اتباعهـا بغـرض الفتنــة، أويغرض فرض عضلات التأويل، بينما عقولنا قاصرة عن التمييز.

لذلك، وتنفيذا لكلمات الله في كتابه سأترك أمر التمييز بين آيات أم الكتاب وباقي الآيات، وتمييز المتشابه والمحكم من الآيات لتدبر كل مسلم واجتهاده الشخصي لذاتـه، فالتفاعل مـع القـرءان والتجـاوب معـه موكول إليك، وليس قصرا على البعض بالإنابة عن الأمـة، حتـى نصدقهم فيما جاءوا بـه من معانـي الترادف.

فهناك من قال بأن أم الكتاب هي الآيات التي جاءت في شأن الألوهية، بينما القرءان والسبع المثاني هي الآيات التي تحدثت في شأن الربوبية، لكن هذا مجرد اجتهاد يلزم صاحبه، وما يهمني هو التمايز وعدم وجود ترادف وإثارة فكر المسلم ليتدبر كل حرف بكتاب الله، ولا يستسلم لما جاء به الأقدمون أو لما يلقيه بعض الفقهاء لنا من بعض علوم الأقدمين.

الفصل الثاني

نموذج من سلبيات ترادف المعاني

(أمية النبي)

نموذج من سلبيات ترادف المعاني

بعـــد أن بينـــا نمـــاذج مـــن عـــدم وجـــود تـــرادف للمعـــاني بالكلمـات المختلفـة، نعـرج علـى جـزء آخـر مـن بـين مـا انحـرف بـه أمـر التـرادف هـو اخـتلاف المعـاني للكلمـة الواحـدة، وأعنـي بـذلك أن يكـون للكلمـة الواحـدة أكثـر مـن معنـى، لكـن للأسـف انتهـى الفكـر الفقهـي المتـوارث بوضـع مفهومـا واحـدا لا يتزحـزح لكلمـات بعينهـا، بـل لقـد اعتبـروا مفهـومهم الـذي توقفـوا عنـده دينـا لا يجـب المسـاس بـه، ولسـت أعنـى بهـذا أنـه لا يوجـد فـي تراثنـا الثقـافي والفكـري غيـر هـذه الترّهـات، فـلا شـك أنّ فيـه مـا يحـقّ لنـا أن نفخـر بـه ونقـود الأمـم كـي يهتـدوا إليـه، لكـن موضـوعنا يحـتم علينـا النظـر فـي سـلبيات أمـر التـرادف القـديم، وأضـرب لـذلك المثـل عـن توقـف الفكـر عنـد معنـى واحـد للكلمـة هـو كلمـة (أُمـي) التـي توقفـوا بمعناهـا عنـد معنى الجهل بمعرفة القراءة والكتابة.

وأجـــدني وقـــد وقفـــت علـــى أســـباب كثيـــرة كجـــذور لهـــذه الترّهـات، ومـن بـين مـا وجـدت أنـه قـد تـم تشـويه كبيـر لتراثنـا الفكـري والـديني، حتـى حملـت الأمـة عيوبـا مـن التـراث غيـر المـدروس، وأجـدني واقفـاً أراهـم يعظّمـون رسـول الله بالخيـالات والخبـالات، فمـن ضـمن تعظـيم رسـول الله بالخبـالات أنهـم عظّمـوه لأنـه يجهـل القـراءة والكتابـة، بـل تكـاتفوا علـى آيـات كتـاب الله ليخضـعوها، حتـى يصـلوا

إلــى مبتغـاهم فــي تعظـيم رسـول الله لكونــه يمتلـك الجهـل الأبجـدي، بـل وصـل بعضـهم إلـى أبعـد مـن ذلـك حـين قـرر جهـل الأبجديـة لكـل الأمّـة العربيـة وقـال ناسـبا القـول للرسـول: (إنـا أمـة أميّـة لا نكتـب ولا نحسـب الشـهر كـذا وكـذا) (راجـع فـتح البـاري ج4 ص151الحـديث 1913)

.

لقـد تـم نسـبة ذلـك الهـراء للرسـول فـي نشـوة مـن السـعادة والفخـر، وإذا سـألت بعضـهم عـن سـر هـذا الفخـر بالجهـل أجـابوك علـى الفـور بـأن هـذا الأمـر فيـه تعظـيم لكتـاب الله وتنزيـه لـه عـن أن يكـون كتبـه محمـد أو غيـره، وأنـه بهـذا الاسـتنتاج . وفـق زعمهـم . يكـون الكتـاب مـن لـدن الله، ولا أرى ذلـك إلا مـن فـرط الجهـل بـالقيم العليـا لكتـاب الله، فلـو أنهـم علمـوا المكونـات الإعجازيـة لكتـاب الله مـا تصـوّروا الأبجديـة ونظمهـا وحروفهـا . مهمـا طالـت واسـتطالت . أنهـا شـيء ذو بـال بالنسـبة لإعجـاز أو محـيط كتـاب الله مـن حقيقـة الحيـاة الـدنيا ومـا فيهـا، والحيـاة الآخـرة ومـا بهـا، وهـو البرهـان علـى عـدم بشـرية القـرءان، فضـلا عـن التحـدي القـائم منـذ نـزول القـرءان أن يأتي الإنس والجن مجتمعين بسورة واحدة من مثله.

وأضــرب لــك المثــل عــن الإعجــاز الــذي جــاء بـــه القــرءان بـــالقرن الســـابع المـــيلادي، فهـــل كـــان محمـــد يعـــرف أن الشـــمس والقمـر لهمـا دورة فلكيـة؟، وهـل كـان يعلـم بـأن البحـر لا يخـتلط مـع

المحيط، لأن بينهما برزخا فلا يبغي أحدهما على الآخر؟، وهل كان يعلم سر الأجنّة؟، وهل كان يعلم أن الأرض بيضاوية؟، وهل كان يعلم أن الكون يتسع؟، أو كان يعلم باختلاف بصمات أصابع البشر بعضها عن بعض؟.......إلخ.

إن كل ما سبق وغيره هي علوم سطّرها القرءان الذي أُنزل على محمد، وإذا كان لا يعلم كل هذا، مع العلم بوروده في القرءان، فكيف نصنع ترياقاً من الزيف ونزعم بجهله الحروف الهجائية العربية حتى لا يشك شاك في أنه هو الذي كتب القرءان ؟؟؟.

وإذا كان للأقدمين بعض الحق لعدم وقوفهم العلمي والحضاري على تلك الأمور، فما بال من خلفهم من الفقهاء على مر أحقاب تلت سلفنا الصالح لا يزالون ينشدون ذلك الفكر البسيط رغم تقدم العالم الذي يثبت كل يوم أن القرءان معجزة فوق المقاييس، فهل نذود عنه ـ في عصرنا ـ بتصوُّر جهل النبي للقراءة والكتابة؟!.

وكيف بهم يذكرون ذلك في الوقت الذي يتلون فيه كتاب الله يتحدى {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}البقرة23؛ ويقرؤون التحدي الثاني: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ

الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقرءان لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }الإسراء88.

وإنه إذا ما كان للأقدمين عذر في تأويل تلك الأميّة المدّعاة فليس للمتأخرين عذر بعد أن عاصروا كافة المخترعات الحديثة التي جاءت لتبرهن على أن القرءان كتاب إعجاز بكل صنوفه، وليس إعجازا لغويا فقط كما كان يراه الأقدمون، وما تلك المخترعات والمكتشفات إلا بعض آيات الله الكونية المؤيدة للإعجاز القرءاني بكل الدروب، لذلك يقول تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }فصلت53؛ فهل بعد أن أرانا الآيات الكونية المنشورة التي تؤكد الإعجاز القرءاني المسطور نقول بأمية الرسول حتى لا يشك شاك بأنه هو الذي كتب القرءان؟، إن هذا لعمري في القياس عظيم.

الأسباب التي اعتمدها القائلون بجهل الرسول للكتابة والرد عليها.

إن الأسباب التي يعتمدها القائلون في زعمهم بجهل رسول الله بالأبجدية تنحصر في تأويلهم الخاطئ لبضع آيات من كتاب الله، وبعض المرويات التي يختالون بها بالباطل، وسوف يتم الرد عليها من خلال القرءان والسُنّة الصحيحة والسيرة النبوية العطرة، فهم يطيب لهم أن يذكروا الآية في كتاب الله كبرهان لهم بعد أن يفسّروها وفق معتقدهم، ثم يحملوا الناس على منهجهم وتأويلاتهم وهذه الآية هي :.

*(وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ *بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآياتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (العنكبوت:48:49) .

ويبدو أنهم ظنوا أن معنى كلمة " تتلو " أنها (تقرأ) ، فالنص القرءاني في ذهنهم يعني (وما كنت تقرأ من قبله من كتاب) ..... وليس (وما كنت تتلو من قبله من كتاب).

إن الله (عز وجل) حين قال " وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ " لا تعني أنه ما كان يقرأ ولا يكتب... إنما تعني أنه لم يعرف عنه قبلاً أنه كان صاحب نظر وتمتمات وترنيمات في الكتب السماوية السابقة التي كانت تحوى إعجازا في بعض أجزائها الميسّرة، وما كان يعكف على الكتابة فيها وإلاّ لارتاب المبطلون في أنه كتب القرءان، وذلك لفرط جهلهم

بالقرءان ومدى إعجازه؛ فتدبر . رحمك الله . قوله تعالى " إذا لارتاب المبطلون " وهل أصبح المبطلون هم هدف الدعوة وهمّ الدّعاة الذين لا يعرفون ذودا عن القرءان إلا بأن يرموا رسولهم بالجهل؟؟.

أَوَ قال الله سبحانه: [وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخط بيمينك]؟، أم قال [ولا تخطه بيمينك]؟، فإن الله تعالى إن كان قال:[ولا تخط بيمينك]، لكنا صادقنا على أنه لا يعلم القراءة والكتابة، لأنها ستعني أنه لا يخط أي خط بيمينه، لكن الأمر انصرف للكتاب فقط، ولم يعن العجز عن الكتابة.

كما أنهم وجدوا ضالّتهم حينما انحرفوا بتأويل معنى كلمات وردت بحديث أورده البخاري في الجزء الأول من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري .(باب بدء الوحي) . حين جاء الملك جبريل للرسول، وقال له: اقرأ فرد عليه (ما أنا بقارئ) فتصوروا كلمة(ما أنا بقارئ) أنها تعنى (لا أعرف القراءة البتة) ورغم أن هناك روايات وردت بلفظ (ماذا أقرأ؟) ورواية أخرى بلفظ (ما أقرأ؟) ورواية(كيف أقرأ؟) وكلها في كتب الصّحاح وليس في كتب أخرى ولكنهم اختاروا رواية (ما أنا بقارئ) لتتناسب مع مرادهم في جهل النبي.

إن علـــى هــؤلاء أن يفهمــوا أن للجملـــة معنـــى آخــر غيــر معنــى (لا أعـرف القـراءة)، إذ إنهـا يمكـن أن تعنــى (لـن أقـرأ) ويمكـن أن تعنــى (مــاذا أقـرأ) وفــي هــاتين الحــالتين يعنــى الأمــر أن رســولنا يعلــم القــراءة ولا يجهلهــا، والغريــب أن هــذا المعنــى مــذكور بــذات المرجع السابق، ولكن أصحاب الهوى يطيب لهم الهوى.

كمـا يمكـن أن تعنــى أيضـا (لا أسـتطيع القراءة)(قـد يكـون مـن فـرط الخـوف ولـيس للجهـل بهـا) وآيـة ذلـك الخـوف أنـه حينمـا رجــع إلــى زوجتــه خديجــة بعـد هـذه الواقعــة قــال زملّـونى زملّـونى، وكان يرتعد من الخوف.

وإذا مــا اطّلـــع القــارئ علـــى كتـــاب لســـان العـــرب لأدرك أن معنــى كلمــة الأمّــى أنــه هــو الــذي يقـرأ ولا يكتـب أو غيــر المحسـن للكتابـة، بمـا يعنـى أن الله حـين أمـر محمـدا (اقـرأ) فـإن ذلـك كـان فـي اسـتطاعته، فـلا يمكـن أن نصـرف مـا ورد بالحـديث (مـا أنـا بقـارئ) إلــى أنــه يعنــى عـدم الإلمــام بــالقراءة. وإن كنــت أختلــف فــي تأويـل الأميـة المـذكورة فـي كتـاب الله عـن العـرب وعـن محمـد . صلّى الله عليـه وسلّم . لأنهـا لا تعنـى الأميـة الأبجديـة، وهـو مـا سـيرد بهـذا المبحث في حينه.

كمـا أن الحـديث لـه رواة آخـرون غيـر البخـاري، ففـي روايـة أبــى الأسـود عـن عـروة أنــه قـال (كيـف أقـرأ؟) وفـي روايـة عبيـد بـن

عمير عند بن إسحق (ماذا أقرأ؟) وكل ذلك يدل على أن إجابة رسول الله كانت استفهامية وإلا لو كانت نافية ما قام جبريل بتكرار الأمر عليه ثلاث مرات كما جاء بالحديث . وكل ما سبق مذكور ومسطور بالمرجع المذكور فتح الباري ص 32و33 وهو الأمر الذي يعنى أن إجابة الرسول الأعظم بكلمة (ما) أنها كانت استفهامية، ولم تكن نافية، وبما يعنى أن الإجابة تحتمل كل الوجوه (النفي . الاستفهام . الخوف).

ولكي نصل إلى حقيقة الأمر فإنه من الجدير بالبيان أن نعلم أن آيات كتاب الله والأحاديث الصحيحة والمتواترة متساندة يشد بعضها بعضاً، وليست متهادمة ولا متناقضة يهدم بعضها بعضاً، ذلك أن حقيقة البحث العلمي والفقهي توجب على الباحث النظر في الأمر من كل جوانبه، ولابد أن يعلم الباحث الفرق بين كلمة (أتلو أو تتلو) وبين كلمة (اقرأ) وبين كلمة (قل) حتى يستطيع التمييز والتفسير. فإن الله . عز وجل . يقول لرسوله وللكافة:{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقرءان فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}النحل98؛ وقوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقرءان جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً }الإسراء45؛ {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً

}الكهف27 ـ ومـع الوضـع فـي الاعتبـار الأمـر الأول . (اقـرأ باسـم ربـك الذي خلق).

نخلص من سطور الآيات السابقات أن رسول الله كان يقرأ أحياناً وكان يتلو أحياناً، فالتلاوة غير القراءة وكان أحيانا يؤمر بالقراءة، وأحيانا يؤمر بالتلاوة، وأحيانا أخرى يؤمر ب (قل).

وهـم يسـتدلّون علـى جهـل الرسـول بـالقراءة والكتابـة بمـا تـم مـن لغـط بـين علـى بـن أبـى طالـب والمشـركين فـي تـدوين صـلح الحديبيـة من أن رسول الله قـال لعلـي -كرّم الله وجهـه- أين هـي يا علـي؟ (يعنـى كلمـة رسـول الله التـي اعتـرض المشـركون علـى كتابتهـا) فمحاهـا بيـده الشـريفة بعـد أن بـيّن لـه علـيّ مكانهـا، والـرد علـى هـذه الروايـة(على فـرض صـحتها) يسـير ويكمـن فـي النقـاط التالية:.

أ - أن محمـدا (ص) قـد يكـون يجلـس بعيـدا قلـيلا عـن جلسـة مـن يكتبـون، فلمـا حضـر وعلـم سـبب الخـلاف قـال لعلـي (أيـن هـي) وهـذا الأمـر يفعلـه أيّ ممـن يعلمـون القـراءة، طالمـا كـانوا علـى بعد ولو متر واحد ممن يكتب.

ب - أن محمـدا (ص) حـال هـذا الصـلح كـان يبلـغ مـن العمـر أكثـر مـن خمسـة وخمسـين عامـا، والجميـع يعلـم أنـه مـن قبـل هـذه السـن يصـاب المـرء بطـول النظـر، فـلا يـرى الكتابـة إلا بنظّـارة،

وهو الأمر غير المتوفر على عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلّم ـ مما يدعو النبي أن يسأل عن مكان الكلمة .

ج ـ أن من لا يعلم القراءة والكتابة لا يمسك القلم بيده ويقوم هو بمحو ما يراد محوه، فلربما تطيش يده فتمحو غيره من الكلمات، ولربما ترتجّ يده فينتشر المداد على باقي الورقة التي كان وجودها شحيحا بتلك الأزمان، الأمر الذي يبيّن أنه (ص) كان يعلم كيف يمسك بالقلم.

من جماع ما تقدم يتبيّن تهافت حجج القائلين بالجهل.

الحقائق من القرءان والسيرة عن علم الرسول بالكتابة والقراءة.

1. المناقشة الفقهية للأمر من الواقع الإيماني بالقرءان والسيرة.

وعودة إلى البحث عن الحقيقة حيث يقول الله تعالى "(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة:286).

ويقول تعالى:ـ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{1} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ{2} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ{4} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ{5}) (1-5 العلق).

إن الآيات السابقات تعني أن الله لا يكلف أحدا إلا بما في استطاعته، ويعني أن الله لا يمكن أن يأمر رسوله بما ليس في إمكانه، بما يعني أن رسول الله كان يعلم القراءة، فما يكون له أن يقول له اقرأ، حتى ينتظر الجواب منه ما أنا بقارئ .

وعلى فرضيّة الزعم بالجهل بالقراءة فإن الله لو أمر أحدا من خلقه بالقراءة لقرأ، حتى ولو لم يكن يعلم القراءة، فكما علّم آدم الأسماء كلهم، وميّزه وفضّله على الملائكة كلها فهو يصنع الرّسل لنفسه وعلى عينه وبرعايته لرحمة العالمين، وحاشا لله أن يقول لجاهل بالقراءة اقرأ ثم يحتاج أن يكررها ثلاث مرات، ثم يستمر الجاهل أو يظل على جهله، وإذا كان ربه هو الأكرم كما تنص بذلك الآية، ويعلّم الإنسان ما لم يعلم ، فهل يعلّم الإنسان ويترك رسوله لا يعرف القراءة ؟ بينما يأمره و يقول له اقرأ ؟؟؟ وما الفرق إذن بين من يريد أن يتهكم على محمد ومن يريد أن يعظّمه ويشرفه بالرسالة التي ورد في مهدها اقرأ..؟.

وإن كان النبي لم يعلم القراءة قبل البعثة فقد علمها بمجرد أن أمره الله باقرأ "وذلك لقوله تعالى (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل:40)؛ أم سنكون من المكذبين بهذه الآية؟، أم يرون قدرة الله تكون في كل شيء إلا رسوله؟.

وماذا عن الناس يوم القيامة حين يقول المولى عز وجل لهم: {اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفي بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً }الإسراء14؛ ترى أيقول الأميون نحن نجهل القراءة، أو يقولون ما أنا بقارئ حتى يستريح أصحاب التأويلات الخرفاء؟.

فهل كانت الأمة كلها لا تعلم القراءة كما يزعم بعضهم في قولهم (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب)؟، وأين كل ذلك من صفة الله أنه الأكرم وأنه علّم بالقلم وأنه علّم الإنسان ما لم يعلم ؟؟؟، وهل يكون كذلك لكل البشر إلا لرسوله وللعرب؟.

ولماذا لم يكرمه ويكرّمه بأن يعلّمه القراءة والكتابة؟؟ ويا ترى هل سيأتي يوم نجد فيه من ينادي فينا بالالتزام بسنة الحبيب في الجهل بالقراءة والكتابة ويدعو إلى هجر المدارس الإبتدائيه؟؟، لأنه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ التزم بجهله الأبجدي ولم يتعلّم !!!.

وكيف تكون الأمّة لا تقرأ ولا تكتب بينما كتب السيرة تذكر أن الرسول أمر أسراه بتعليم المسلمين القراءة والكتابة، ألا يعنى ذلك أنهم متعلّمون للقراءة والكتابة وهل يستمر رسول الله في الالتزام بعدم الإلمام بالقراءة والكتابة بينما يأمر المسلمين بتعلّمها ألا يكون بذلك المنهج مناقضاً لكتاب الله القائل " (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (البقرة:44).

وهل يصح ذلك الفكر في حق الرسول الذي كان خُلُقه القرءان؟.

ثم نظرة إلى ما أنزل على رسول الله في قوله تعالى(.....وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}طه114 . فمن حيث إن الرسول كان خُلُقه القرءان، فلابد أنه كان يسعى لأن يستزيد من العلم،

ويدعو الله أيضاً بدعاء (رب زدني علما)، وإن التكامل بين المنظومة القرءانية كمحرر مكتوب وبين المذكرة العملية كنبي معصوم مثالي في كل شيء، تقتضي أنه حتى لو كان لا يعلم القراءة والكتابة فلابد أنه تعلّمها بمجرد أن أمره الله بكلمة (اقرأ)، وإلا فكيف بربك يأمر المسلمين بالسعي لطلب العلم من المهد إلى اللحد ثم يترك النبي نفسه نهبا لأمية أبجدية؟؟؟!!! .

وهل بالضرورة أن يكون الرسول أمّيا حتى لا يُتهم القرءان يأنه صناعة بشرية؟، إنه يمكن للرسول أن يأخذ هذا القرءان من أحد أصحابه الملمّين بالقراءة والكتابة، وهنا هل يمكن الذود عن القرءان بجهل الرسول للكتابة؟؟ . ثم إن لصق الأمية الأبجدية بالرسول هل كانت تعنى أنه أبكم ؟... إن بإمكان أي بدوى أن ينظم لغة لا يستطيعها أهل المحافل العلمية ببلدان عربية كثيرة، أم كانوا يتصوّرون أن رسول الله كانت تتنزّل عليه صحائف مكتوبة وهم ينزّهون الرسول عن شبهة كتابتها؟؟

وإلى أصحاب عقدة الأمية الأبجدية، أهيب بهم أن يكونوا أصحاب عقل، ولا يكونوا أصحاب نقل، إلا حين يكون النقل واجباً وصحيحا؛ الحقيقة أني أهيب بالمسلمين أن يكونوا أصحاب تفكّر، ولا يكونوا أصحاب فكر متحيّز، أهيب بهم أن يكونوا أصحاب عقيدة، ولا يكونوا أصحاب عقدة.

2. الأمية والأميون.

ويتجه فريق من القائلين بالجهل إلى الاستناد إلى قوله تعالى " (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ......) (الأعراف:157).

فهم يستدلون بهذه الآية على إثبات الأمية الأبجدية للرسول، وعلى هذا فإني أدعوهم إلى النظر وتدبر قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }الجمعة2... فهل يعنى ذلك جهل كل أهل الجزيرة العربية بالأبجدية لأن الله وصفهم بالأميين؟؟؟.أم كما يقولون أن أغلب أهل مكة كانوا على جهل بالأبجدية ؟، لا شك أن للأمر تأويلا آخر.

وإن قوله (تعالى) عن اليهود يبين لنا وجها آخر عن معنى كلمة (الأميين) حيث يقول تعالى (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران:75).

فالأميون بالآية السابقة لا تعنى الأميّة في القراءة والكتابة، إذ لا يوجد تلازم بين الجهل بالأبجدية وأداء الأمانات إلى أهلها، بل تعنى

أن اليهود كانوا يأكلون أموال العرب بدعوى أن العرب أميّون لا يعلمون حقيقة العلم بالله وليس لهم كتاب سماوي، إذ لا يوجد تقابل بين تعبير أهل الكتاب والأميين إلا هذا الأمر.

كما أن تسميتهم بالأميين إنما ترجع إلى آراء عدّة، فما ورد في معناها نذكر منها :ـ أنها الأمية بالحقيقة الإلهية.

وقالوا (الأميين) لعدم نزول كتاب أو رسول فيهم.

وقالوا(الأميين) لجحودهم كتب الله وعدم إلمامهم بما فيها.

وقالوا (الأميين) لكونهم يقيمون بأم القرى؟

وقالوا (الأميين) لانتسابهم لإبراهيم عليه السلام الذي كان أمّة.

وقالوا أميين مشتقة من أمم....... إلخ.

ولقد ورد في كتاب لسان العرب أن الأمي هو الذي يقرأ ولا يكتب، فلماذا اختار أنصار الجهل وصرفوا معنى الأمية أنه الجهل بالقراءة والكتابة ؟؟؟ إن أحدا لم يصر بأن الأميين لابد وأن تعني أمية القراءة والكتابة إلا من علماء منابر الأمية فقط، خاصة إذا ما كانت هناك آيات تنفي عن رسول الله الجهل بالأبجدية، وهو ما سنورده في موضعه بهذا المبحث.

ولتبيان هذا الأمر فإن بالقرءان آيتين تدلان على أن الأمي في القرءان بمعنى الأمية عن الحقيقة الإلهية، وليست الأمية الأبجدية، وأن هؤلاء الأميين يكتبون ويقرءون، حيث يقول تعالى:(وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ{78} فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ{79}) البقرة

وإذا كانت كلمة أمي أو أميين تعنى الجهل بالقراءة والكتابة، فكيف يتصوّر المدافعون عن النقل بلا عقل بأن الله يتحدى هؤلاء الأميين الجهلاء بأن يأتوا بسورة من مثله ؟؟ أليس في قوله تعالى حين يتحدى الجهلاء أن يأتوا بمحرر مكتوب له نظم مثل نظم القرءان ؟؟؟حيث يقول (تعالى) :-(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة:23) . أليس في التحدي الذي يقيمه الله مع الجهلاء بالأبجدية أن يأتوا بمكتوب يكون فيه تصغيرا لمنطق الله في التحدي وألا يكون ذلك التحدي دليلاً على تفاهة القرءان أيضا؟؟؟، أيتحدى الله الجهلاء؟!.

وإذا ما كنا دوماً نردد سبحان من كان أمره بين الكاف والنون، تأولاً لقوله تعالى " (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل:40).

فعلـى ذلـك فـإن الله إذا قـال للجاهـل اقـرأ فإنــه يقـرأ فـورا لأن أمـره بـين الكـاف والنــون، وكيـف بكـم تصـدّقون أن الـذي عنـده علـم مـن الكتــاب يســتطيع أن يــأتي بعــرش بلقـيس ملكــة ســبأ مــن الـيمن إلـى الشــام ولا تتصــورون أن الله علّـم رسـوله القـراءة والكتابــة فــورا ؟؟؟ وذلــك علــى فرضـيّة أنـــه لــم يكــن يعلمهــا، وهــو الأمــر الــذي سـيأتي فـي موضـع آخـر لإثبـات كونـه يعلـم الأبجديـة قـراءة وكتابـة قبل البعثة فضلاً عن سابقة بدء البعثة بكلمة اقرأ.

وانظـر ـ رحمـك الله ـ إلـى قولـه تعـالى عـن كافـة البشـر عــالمهم وجــاهلهم بــالقراءة، حيــث يقــول تعــالى : (وَكُــلَّ إِنْسَــانٍ أَلْزَمْنَـاهُ طَـائِرَهُ فِـي عُنُقِـهِ وَنُخْـرِجُ لَـهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ كِتَابـاً يَلْقَـاهُ مَنْشُـوراً *اقْـرَأْ كِتَابَـكَ كَفَـي بِنَفْسِـكَ الْيَـوْمَ عَلَيْـكَ حَسِـيباً) (الإسراء: 13 &14) ... وعلـى ذلـك فحين يُقـال لكـل إنسـان اقـرأ كتابـك، فلـن نجـد يـوم القيامـة مـن يقــول مــا أنــا بقــارئ، وســوف نــرى الجميــع يقــرأ أعمالــه التــي أُحصـيت عليــه، بصــرف النظــر عــن كــون بعضــهم لــم يــتعلم القــراءة والكتابــة، ذلــك أنـــه بمجــرد صــدور الأمــر اقــرأ فــإن الجميــع ســيقرأ بحــول الله وقدرتــه، بصــرف النظــر عــن ســابقة علمهــم بــالقراءة مــن عدمه.

وتــدبر قولــه تعالى:ــ(وَلَوْلا فَضْـلُ اللَّـهِ عَلَيْـكَ وَرَحْمَتُـهُ لَهَمَّـتْ طَائِفَـةٌ مِـنْهُمْ أَنْ يُضِـلُّوكَ وَمَـا يُضِـلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَـهُمْ وَمَـا يَضُـرُّونَكَ مِـنْ

شَـيْءٍ وَأَنْـزَلَ اللَّـهُ عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَعَلَّمَـكَ مَـا لَـمْ تَكُـنْ تَعْلَـمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) (النساء:113).

فهـذا يعنـي أن الله علّـم رسـوله الكتـاب، وعلّمـه الحكمـة، وعلّمـه مـا لـم يكـن يعلـم علـى الإطـلاق، فـلا يمكـن لعاقـل أن يقـول وعلّمـك مـا لـم تكـن تعلـم إلا علـم القـراءة والكتابـة، وإلا لكـان مـن المعطّلين لآيات كتاب الله ومن المتأولين بغير علم.

وإذا كـان الله ـ تعـالى ـ يأمرنـا بتـدبّر القـرءان وسـمّى مـن لا يتـدبر القـرءان بأنـه صـاحب قفـل علـى قلبـه، حيـث يقـول تعـالى " (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:24)

فتـدبر قولـه تعـالى " (الَّـذِي عَلَّـمَ بِـالْقَلَمِ) (العلق:4) ـ وقولـه تعـالى "(....... وَأَنْـزَلَ اللَّـهُ عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَعَلَّمَـكَ مَـا لَـمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) (النساء:113).

فـإن هـذه العلائـق والعلاقـات إذا مـا تـدبّرتها تكفيـك فـي الوقـوف علـى حقيقـة أن رسـول الله كـان يعلـم القـراءة والكتابـة، وإن كـان لـم يعلمهـا قبـل البعثـة فقـد علمهـا بمجـرد أن أمـره الله بـاقرأ "وذلـك لقولـه تعـالى (إِنَّمَـا قَوْلُنَـا لِشَـيْءٍ إِذَا أَرَدْنَـاهُ أَنْ نَقُـولَ لَـهُ كُـنْ فَيَكُونُ) (النحل:40).

والقرءان اسمه القرءان بما يعني أنه مجموع ومضموم بعضه إلى بعض، وقيل هو الكتاب المنزّل على رسوله محمد، واسمه مشتق من القراءة، فهل ينزّل الله على رسوله كتاباً أسمه القرءان ويتركه لا يعرف القراءة ويأمره (اقرأ) وينتظر منه الجواب (ما أنا بقارئ) !!! ويقرأ ماذا ؟؟، أنزل رسول الله جبريل على محمد بمكتوب أم كان يقول له اقرأ الهواء ؟ أم كان يأمره باقرأ وهو يقصد (قل) .؟؟؟

وكيف لا يتدبر القائلون بالجهل قوله تعالى (فَإِذَا قرءاناهُ فَاتَّبِعْ قرءانهُ) (القيامة:18)؛ أي أتبع قراءته . وكيف بالله ينزّل على عبده (الرَّحْمَنُ *علّم القرءان) (الرحمن:1&2)؛ فهل يعلّمه كل علوم القرءان إلا علم القراءة فيه؟؟؟.

وإن الأمر بالقراءة (اقرأ) لابد أن تعني محررًا مكتوبًا، وهو القرءان (قاله الشنقيطى في تفسيره) وقد يكون لتعليم الرسول أنه لابد له حين يقرأ أن يقرأ باسم الله خاصة وأنه كرر عليه الأمر في قوله تعالى: " اقرأ وربك الأكرم "، فلابد أن يكون هناك إما محرر مكتوب أو هدف من ذلك الأمر غير إبراز جهل الرسول بالأبجدية.

ثم إن الأمر بالقراءة لم يكن أمرا بين محمد ــ عليه الصلاة والسلام . وجبريل الأمين فقط، بل إن الله أمر رسوله أن

يقـرأ القـرءان علـى النـاس حيـث قـال تعـالى: (وَقرءانـاً فَرَقْنَـاهُ لِتَقْـرَأَهُ عَلَـى النَّـاسِ عَلَـى مُكْـثٍ وَنَزَّلْنَـاهُ تَنْـزِيلاً) (الاسراء:106) ..... ويقـول تعـالى: (رَسُـولٌ مِّـنَ اللَّـهِ يَتْلُـو صُـحُفاً مُّطَهَّـرَةً{2} فِيهَـا كُتُـبٌ قَيِّمَةٌ{3}) سورة البينة.

والرسـول كـان مـأموراً بتـدوين مـا ينـزل عليـه، ومـأمورًا أيضـاً أن يقـرأه علـي النـاس، ومـأمورًا بتلاوتـه، فقراءتـه علـي النـاس غيـر تلاوتـه، وهـو غيـر قـول مـا فيـه للنـاس.....أي يعرضـه علـى النـاس بـأن يقـوم هـو بقراءتـه علـى النـاس حتـى يتعلمـوا أهميّـة القـراءة وأصـول قراءتـه، وحتـى يؤمنـوا بـه، فالرسـول هـو المعلّـم لكـل النـاس مـؤمنهم وكـافرهم.... لا يعلّمهـم علـوم القـرءان فقـط..... إنمـا يعلّمهـم قراءتـه أيضـا، ويسـتهدف أن يـتعلّم جـاهلهم القـراءة لأهمّيتها.

والحقيقـة أن قصـور التفسـير عنـد الأمـة بـدأت مـع تأويـل تفسـير الأمـر الأول (اقـرأ)، فاتخذتـه الأمّـة علـى أنـه معجـزة نـزول نـص يُقـرأ ويُكتـب علـى نبـي أمـي لا يعـرف القـراءة ولا الكتابـة، ونسـيت الأمـة بفعـل الـبعض المغـزى الرئيسـي مـن الأمـر (اقـرأ)، بـل ونسـيت أنهـا مخاطبـة بـه وتصـورت الأمـر وحصـرته فـي أميـة رسـول الله، ثـم تعاظمـت المصـيبة مـع عـدم السـماح بحريـة التـدبّر مـع تقـديس مـا انتهـى إليـه تفكيـر المفسـرين القـدماء، ثـم تقـاطرت

وتتابعت الأمة جيلاً بعد جيل ترث وهي لا تفكر، بينما كتابها يخاطبها (أفلا تعقلون – أفلا يتفكرون – أفلا يتدبرون . وما يعقلها إلا العالمون .... إلخ).

ثم كيف يتصور أصحاب معنى الأمية أنها الجهل بمفردات الأبجدية قراءة وكتابة؟، كيف بهم يتصوّرون الله وهو يتحدى الجهّال من الأميين أن يأتوا بسورة من مثل القرءان ؟، فأين عظمة التحدي حين تتحدى أميين لا يعرفون القراءة والكتابة؟، وسوف أكرر هذا الأمر دوما حتى أجد عقلاء ينشرونه ولا ينهزمون أمام طغمة انحرفت بالتأويل ثم انفردت بنشر ثقافتها وفكرها بين الناس.

ثم إنه من زاوية أخرى من زوايا النظر فإنه من المعلوم أن كل شيء في خزائن الله (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) (الحجر:21) .

فاعلم . رحمك الله . أن علم القراءة أو غيره من العلوم إنما الأصل فيه أنه يأتيك ولا تأتيه أنت، وذلك وفق تيسير الله لك ووفق جهدك وذلك لقوله تعالى (...... وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) (الاسراء:85) .

وقوله (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقرءان مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه:114) وذلك مع عدم الإخلال

بفريضة السعي لطلب العلم. فهل يأتيك الله بعلم القراءة والكتابة ويحرم رسوله من تعلمها؟؟؟ وهل يترك رسوله يقول ويدعو ربّ زدني علما فيعلّمه كل شيء إلا القراءة والكتابة؟؟؟

فهل بعد كل هذا التبيان نجد من يصمم على جهل رسول الله بالأبجدية ؟، إن الدعاة الذين يكررون معاني الأمية الأبجدية للنبي لا يحمون الدّين بادعاءاتهم، بل يحمون تأويلات بعض الفقهاء القدامى الذين قد يكون لهم عذرهم، فلم يكن القرطبي والطبري وغيرهما في زمانهما وغيره يعلمون بتغيّر الضغط الجوي إذا ما طار الإنسان في أعالي الهواء مع قلّة في الأكسجين اللازم للتنفس، حيث يقول تعالي: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام:125) .

ولم يكونوا يعلمون الكثير من الأمور العلمية التي أصبحت عادية في زماننا (كالدورة الفلكية وغيرها) ولذلك فكانوا يرون أن النظم اللغوي للقرءان هو عين الإعجاز عندهم وكانوا يخشون من مقولة إن محمداً كتب القرءان بيده، وكان بعضهم قرأ تاريخاً مزيفاً عن جهل رسول الله بالأبجدية فتصوروا . وفق

معطيات زمانهم . وظنّوا أن صيانة القرءان من مظنّة الكتابة البشرية تكمن فيما ذهبوا إليه من معان.

ولكن اليوم وبعد أن منّ الله علينا من خزائن علمه، وآتانا منها وعلّمنا بعضا من الإعجاز العلمي والبياني والحسابي في القرءان، وأصبح لنا محدّثين وأساطين فيه، فلا يصح منا أن نتصور أن جهل رسول الله هو الذي يذود عن الظن في كتاب الله من أن رسول الله كتب القرءان بيده؛ إن معنى هذا أن مجرد معرفة الرسول بالقراءة والكتابة قد يبقي ولو نسبة ضئيلة من الظن في إمكان قيامه بكتابة القرءان، وهذا وغيره هو عين الهراء، وعين الجهل بمرامي وقيمة كتاب الله وكلماته التي نزّلها علي محمد . صلي الله عليه وسلم . واليك شرح سببً واحدً من ملايين الأسباب ونوجزه فيما يلي :-

إن التصور الحصري في أن معجزة القرءان هي في منظومته اللغوية جعل بعض المخبولين من الولايات المتحدة ينشئ ما أسموه في أيامنا هذه (الفرقان) يضاهون به القرءان، وما ذاكم إلا لفرط جهلهم، ولتفريط المسلمين في إعلام العالم بقيمة كتاب الله من كافة جوانبه، هذا إذا ما كانوا يعلمونها.

3ـ الدليل على أن الرسول كان يعلم القراءة والكتابة.

أولا:. من القرءان.

إن رسول الله وُلد وعاش في مكة، وأهلها هم أعلم الناس بما يعلمه وبما لا يعلمه، فانظر . رحمك الله . إلي قولهم فيما جاء بكتاب الله عنهم وصفا لرسول الله الذي عرفوه تمام المعرفة.(وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الفرقان:5) .

فكلمة اكتتبها تعني في اللغة (اشترك في كتابتها وقيل استملاه وقيل تكرر منه الكتابة) فلو كان مشركو مكة يعلمون بجهله الأبجدية، أو أن القرءان كان شفوياً في صدر رسول الله وصحابته الأجلاء كما يزعم البعض ما كان قول المشركين (اكتتبها) له محل من الواقع ، لكن الآية تعني أن رسول الله كان يعلم الكتابة عموماً، ثم قام أحد أهل الكتاب بتعليمه كتابة أساطيرهم وذلك بطريقة الإملاء. فهل يقولون ذلك علي من عاش بينهم جاهلاً؟، و هل يقولون ذلك وهم يعلمون بجهله بالأبجدية؟؟؟؟؟، وهل يقولون بأن هناك من يملي عليه هذه الأساطير، وكيف كان يملي عليه وهو جاهل ؟ إن الذي يكتب لابد أن يكون عالماً بالقراءة، والذي يملي عليه هو أعلي درجة ممن يعرف الكتابة لأنه يكتب

كل ما يملي عليه بما يدل على مهارته، ولا يمكن لأساطين الكفر بمكّة وهم يخاطبون رعاياهم إلا أن يقولوا الحق عمن عاش بينهم، ولو قالوا غير الحق لانفض الناس من حولهم وذهبوا إلى محمد ليؤمنوا به، وهو ما يخشاه الأساطين من المشركين.

ثانيا:ــ واقعية التشريع والتنزيل والرسالة فيما يخص القراءة والكتابة.

إن القرءان لم يكن بحال كتاب دين يلجأ إليه الناس وقت الشدّة، وفي الجنائز، والأفراح، والأمراض، وهكذا مما نراه في أيامنا هذه، إنما هو كتاب دين يهدف لرقيّ البشرية، وطريقة للحياة والإعداد لما بعد الحياة، وهو كتاب واقعي ينير الطريق لصلاح المؤمنين بمفرداته كلّها، ومن غير المقبول أن نسمع أن الرسول كان خلقه القرءان، ثم ننتهي إلى انعدام الواقعية والتطبيق القرءاني في حياة أعظم الخلق وخاتم النبيين، وإلا لكنا من المخبولين فكريا.

إن الله أنزل أول ما أنزل على رسوله الأمر الإلهي (اقرأ)...... وأنزل عليه فيما أنزل (وقل رب زدني علما) ....وبيّن له فيما أوحى إليه (ن*والقلم وما يسطرون.....) فبيّن له فضل القراءة والعلم، وما كان لرسول الله الذي كانت

معجزته القرءان الذي هو معجزة عقلية وعلمية ولغوية وحضارية وأدبية، وليس معجزة لغوية فقط أن يتخلّف عن ركب تغذية العقل أو العلم.

وقد كان رسول الله يطبّق تطبيقا عمليا وواعيا كل ما يتنزّل عليه من حروف القرءان وكلماته، ويربطها مع بعضها ويأمر بها أصحابه، وكان للقلم وللقراءة الدور الأعظم في واقعية نشر العلم ونشر الدين ونشر القرءان ، وقد كان الرسول يدرك ذلك الأمر، وكان صاحب التطبيق الواعي لكتاب الله، فكان يقرأ، لأن الله أمره بالقراءة ، وكان يطلب العلم دوما، لأن الله أمره بالاستزادة من العلم ، وكان يعلم أهمية القلم في نشر العلم فكان يكتب.

والقرءان نزل في أهل بلاغة يفد إليهم الناس من أقطار الأرض لأداء فريضة الحج وفقا لشريعة إبراهيم، ومن البدهي أن تكون مكّة ـ وهى مقصد الناس من كافة الأقطار . يستزيد أهلها من ثقافات وعلوم البشرية على اختلاف أقطارها.

وكانت رحلة الشتاء والصيف للتجارة تنمّ عن حاجة أهل الشمال والجنوب لبضائع أهل مكة ،كما تنم عن مطالب أهل مكة من بضائع الشمال والجنوب وعلى مقدرة أهل مكة في الترحال للتجارة، وبالتالي فقد كان أهل مكّة في رغد من عيش، فلا

يستساغ أن يكون نبي الله المرسل للناس جميعا هو أفقرهم وأجهلهم رغم ما أنزل عليه من الأمر(اقرأ) و(وقل رب زدني علما) ثم بعد ذلك نجد من يتشدّق بجهله الأبجدي، وكأن المعجزات شحيحة لا ينقصها إلا جهل الرسول حتى تكتمل .

إن واقعية المنهج القرءاني وواقعية التشريع وواقعية التنزيل، فضلا عن ناموس الله في أنبيائه أنهم كانوا اليد العليا دوما على أقوامهم، وهو ما يؤكد أن القرءان لم ينزل على جاهل، لأن الله يؤهّل أنبيائه بما يدعّم طبيعة الرسالة وطبيعة من يبعث فيهم ......فالطب والمعرفة بخبايا المال كانت طبيعة من معجزات عيسى ـ عليه السلام ـ حين أرسله الله إلى قوم اشتد بهم مرض العمى منذ الولادة والبرص، وكانوا أشحّاء فيما بينهم ،فكشف غنى الغنيّ فيهم وما يدّخره من طعام في بيته وداوى مرضاهم. ......وكان السحر طبيعة أهل مصر الذين نزل فيهم موسى فزوّده الله بما يفتك بالسحر، ويجعله صاحب الكلمة العليا بينهم، ولم نسمع عن أحد سرق منه العصا حتى يحرمه من القوّه السحرية التي معه ....والدروع كانت خصيصة داوود على قومه المقاتلين، فعلّمه صناعة الدّروع.......والقراءة والعلم خصيصة محمد على قومه من الشعراء والبلغاء الذين كانوا يقرضون الشعر ارتجالا، وكانوا يتبارون باللغة العربية وله سوق

تسمّى عكاظ يتباورن فيها بمنتجاتهم الأدبية، وكانت لهم معلّقات ينظمونها ويعلّقونها افتخارا بإنتاجهم اللغوي، فلم يكن القرءان ولا رسول القرءان غرباء عن موطن الرسول وطبيعة هذا الموطن وما يحمله من بلاغة أساسها القراءة والكتابة والعلم ولم يكونوا أميين بالأبجدية أبدا.

ثالثا:. من السُنّة الصحيحة.

لقد تعددت الروايات الصحيحة التي تؤكد إحاطة وعلم الرسول بالكتابة والقراءة، ولقد اخترنا منها بعض ما رواه الشيخان /البخاري ومسلم رحمهما الله وذلك فيما يلي :.

1. عن ابن عباس قال (يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله (ص) وجعه فقال ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا .... إلخ الحديث) حديث رقم 4078 صحيح البخاري كتاب المغازى .

2. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال وقال النبي (ص) هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا فقال بعضهم إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرءان حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا ....إلخ الحديث – يقول ابن عباس إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم) حديث رقم 4079 صحيح البخاري كتاب المغازى.

3. عن ابن عباس أنه قال (اشتد برسول الله (ص) وجعه فقال آئتونى أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى أبدا فتنازعوه وما ينبغي عند نبي تنازع ..... إلخ الحديث) حديثا رقم **3089** صحيح مسلم كتاب الوصية.

4. عن بن عباس أنه قال (قال رسول الله (ص) ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتابا ....إلخ الحديث) حديث رقم 3090 صحيح مسلم كتاب الوصية. وورد ذات المعنى بالحديث رقم 3091 صحيح مسلم – كتاب الوصية أيضا.

من جماع الروايات السابقة يثبت أن الرسول كان يجيد القراءة والكتابة، وأنه كان يريد كتابة وصيته للمسلمين لولا اختلافهم بحضرته، وهى تقطع باليقين معنى قول الرسول في حديث جبريل له اقرأ ورد الرسول عليه بقوله ما أنا بقارئ بما يعنى ماذا أقرأ أو بما يعنى لا أستطيع من فرط الخوف، ولكن لا تعنى أبدا لا أعرف القراءة كما فسرها البعض، وليكن ذلك الفكر هو منهاجنا حتى لا يطعن أحد في السُنّة النبوية أنها تأتى بالشيء ونقيضه في آن واحد، ونكون نحن سبب هذا الأمر بتأويلاتنا العرجاء، هذا فضلا عن أن الحديث ذكر من عدة طرق فمن بين ألفاظه (ما أقرأ) وهذه أيضا قد فسرها البعض بأنها (ما) الاستفهامية وفسرها آخرون بأنها (ما) النافية، ولكن إذا ما كان لأهل الفقه علم في قواعد الإثبات لعلموا أن القرائن المتساندة هي خير دليل على ما تساندت عليه، وأنها في

موضوعنا هذا تتساند في صالح علمه (ص) بالقراءة والكتابة هذا فضلا عن وجود دلائل على علمه بهما (ص).

رابعا:. من العقل

إننا لا نقبل من قائل أن يستنبط من واقع وجود كُتَّاب للوحي كانوا يكتبون ما يمليه رسول الله عليهم من قرءان فيخرج باستنتاج أنه كان لا يعلم القراءة والكتابة، ذلك أن رسول الله كان له كُتَّاب، وكان له حرّاس، وكان له خدم، وكلما علا شأن المرء يكون له كتّاب وحرّاس وغير ذلك، دون أن يفتّ ذلك في شأن علمه بالقراءة والكتابة، أو في شأن قدرته على الدفاع عن نفسه .. إلخ، لكن حب هذه الأمة للأساطير وعزوفها عن البحث والفكر، مع قلّة القراءة والكتابة، أفرز ذلك المعتقد وغيره.

كما أن مفهوم جهل رسول الله بالقراءة والكتابة، مع احتياجه لكتّاب للوحي ومع عدم إلمامه بالقراءة والكتابة، سيجعل هناك حائلا يحول دون معرفته صحة ما تتم كتابته ومدى دقته، فيحرم من مهمّة التحقق والمراجعة.

وفضلا عن ذلك فإن القرءان كان المهمة الرئيسية للرسول وحيًا وبلاغًا وقراءةً وكتابةً وتلاوةً وجمعا، فلا يصوّر لنا أحد الزاعمين بالجهل أن الرسول ترك المهمة لأبى بكر أو عثمان ـ رضي الله عنهما ـ ليكملا أمر جمع القرءان بعد سنوات عن فكرة

عنّت لأحدهما، فإن في ذلك تكذيبًا لقوله تعالى: (............الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المائدة:3) .

كما أن كُتّاب الوحي ما كان لهم أن يكتبوا(ألم) ولا(كهيعص) ولا(حم) متشابكة الحروف إلا بتوجيه نبوي عن صورة الكتابة، إذ أنه لو ترك الأمر إليهم لكتبوها مقطّعة كما سمعوها منه يمليها عليهم مقطّعة، فالقرءان تم تنزيله وجمعه وتدوينه في عهد رسول الله وتحت إشرافه وعلى بصيرته وبصره، حيث يقول تعالى: (إن علينا جمعه وقرءانه)17القيامة؛ فلم يقل إن علينا جمعه في عهد ما بعد الرسول أو في عهد عثمان.......إلخ من تلك الترّهات.

نضيف إلى الدلائل العقلية ما سبق وذكرناه من استحالة توجه الله بالتحدي لأميين، بمعنى أنهم لا يعلمون القراءة والكتابة، واستحالة أن يعلّم الله كل الأنبياء إلا محمدا، وعدم معقولية أن ينزل جبريل لأحد ليأمره (اقرأ) ثم يكتشف أنه لا يعرف القراءة والكتابة ،وعدم استساغة أن يقول أساطين أهل مكة الذين تربى بينهم النبي أن هناك من يملى عليه هذا القرءان، ويقوم هو بكتابته في الوقت الذي يعلمون أنه يجهل الكتابة، مع استحالة أن يدعو نبيا ربه (رب زدني علما) ولا يستجيب

له ، مع عدم منطقية وسوء أدب وجهل من قال بأن الله علّم رسوله ما لم يكن يعلم إلا علم القراءة والكتابة، وسوء أدب من يقول بأن رسول الله يأمر مشركي مكة من الأسرى أن يعلّموا من لا يعلم القراءة والكتابة ثم هو يترك نفسه نهبا للجهل بهما......وغيرها كثير مما ذكرناه.

ويعد كل هذه الدلائل القرءانية والعقلية ودلائل السُنّة والسيرة الصحيحة ستجد فريقا ممن يتدينون بالوراثة ممن يحبون روايات ورثوها بلا عقل يقولون:ـ وما الدّاعي لفتح هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات ؟؟؟- نرد عليهم ولماذا لم تفتحوه أنتم في الوقت الماضي وفي خلال عمركم وأجدادكم المديد؟، وما أدراك بأنه سيحين الحين الذي يرضي هؤلاء في المستقبل ليفتحوا فيه أي موضوع؟، إن هؤلاء هم عبيد الجمود عند حد اجتهاد الآخرين بلا عقل وبلا هدى أو كتاب منير، أَوَ لا تستحق تبرئة الرسول من تهمة الجهل منا بذل الجهد وإعمال العقل من أجل الوصول إلى حقيقة الهدف القرءاني أولا ثم الحقيقة التي يقرّها العقل السويّ ثانيا؟؟؟؟.

وسيقول آخرون: وما الغرض من فتح هذا الموضوع؟، فهؤلاء نرد عليهم بقول الله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقرءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:24).

وكيف بالمسلم يتجهّم عند كل فكر طالما لم يوافق ما

ورثــه مــن فكــر ، إن هــذا المــنهج مــذموم بمــا ورد بكتــاب الله مــن قولــه (وَإِنْ تُطِــعْ أَكْثَــرَ مَــنْ فِــي الْأَرْضِ يُضِــلُّوكَ عَــنْ سَــبِيلِ اللَّــهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) (الأنعام:116) .

وقولــه سـبحانه وتعــالى:(وَإِذَا قِيــلَ لَهُــمُ اتَّبِعُــوا مَــا أَنْــزَلَ اللَّــهُ قَــالُوا بَــلْ نَتَّبِــعُ مَــا أَلْفَيْنَــا عَلَيْــهِ آبَاءَنَــا أَوَلَــوْ كَــانَ آبَــاؤُهُمْ لا يَعْقِلُــونَ شَــيْئاً وَلا يَهْتَــدُونَ) (البقــرة:170) ....وغيرهمــا كثيــر، فــلا يجــب علــى المسـلم أبـدا أن يكـون علـى هـذا المنـوال المـذموم مـن تقليـد الآبـاء دون علم أو تدبر.

وفضــلا عمــا ذكرنــا بخصــوص تــدبّر القــرءان فــإن شــباب هــذه الأيــام لهــم عقــول تصــل إلــى منــاطق أكثــر عمقــا ممــا وصــل إليــه أســلافهم، وتعــرض علــيهم عبــر شــبكة المعلومــات الدوليــة(الإنترنت) مســائل قــد تفتــنهم ،وإن موضــوع الــزعم المتــوارث بجهــل الرســول بــالقراءة فــي الوقــت الــذي يــأمره الله فــي رســالة أنــزل عليــه فــي أولهــا اقــرأ فضــلا عمــا أوردنــاه مــن تناقضــات هــو أمــر يثيــر حفيظــة الكثيرين، ويعرّض شبابنا إلى فتن لا داعي لها.

كــذلك قــد يقــول أنصــار جهــل رســول الله بــالقراءة والكتابــة إن الأمّــة تــواترت علــى هــذا الأمــر (جهــل الرســول) فهــؤلاء لابــد وأن يعلمــوا أن الأمّــة المســيحية أكثــر عــددا وهــم أصــحاب عقــول وعلــم، ومــع هــذا فقــد ســاقهم قساوســتهم إلــى رأيــين كلاهمــا خطــأ وهمــا(أن

عيسى عليه السلام هو الله . والثاني أنه ابن الله) وما ذاكم إلا لتعطل وظيفة العقل عندهم.

الخلاصة:. أن الرسول الأعظم كان يعلم القراءة والكتابة قبل البعثة، أمّا من أراد أن ينكر الأمر فهو وشأنه، ولكن ننصحه حتى لا يدخل في منظومة تقييد مطلق القرءان بلا سند، وتعطيل الحقائق القرءانية لذمّة رأى دعاة ما تدبّروا حقّ التّدبر، وإنه توحيدا لرأى الأمّة على أقل تقدير في الصواب أنه عليه السلام.......وعلى أقل تقدير ومع التحفّظ....... قرأ وكتب بمجرّد أن أمره الله(اقرأ)، فقرأ بحول الله وقوته وكتب بحول الله وقوته منذ ذلك الحين، لأنه علّمه ما لم يكن يعلم (إذا كان لم يكن يعلم القراءة و الكتابة) كما يزعم الزّاعمون.

وإن المعتقدين في جهل رسول الله بالأبجدية هم في حقيقتهم معطّلون للحقيقة القرءانية، وليس الأمر مجرد اختلاف في تأويل نص قرءاني، إذ لا يوجد معنى لقوله تعالى (لا يكلّف الله نفسا إلا وسعها) في ذات الوقت الذي يعتقدون فيه بأن الله أمره بالقراءة وهو لا يعلمها إلا معنى واحد هو التكذيب بتلك الآية. كما أنه لا يوجد معنى للإيمان بقوله تعالى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) في ذات الوقت الذي يصر فيه أصحاب منهج الجهل بالأبجدية أنه لم يعرف القراءة والكتابة، لأن الأمر على هذا المنوال يكون فيه تعطيل للآية وحصرها عن رسول الله دون باقي الخلائق.

كما وأنهم مضيّقون للموسع، إذ يعتقدون بأن الله علّمه كل العلوم إلا القراءة والكتابة، وتركه على جهله الأبجدي(على فرض أنه كان لا يعلمها) بينما الله يقول (وعلّمك ما لم تكن تعلم) أي علّمه كل ما لم يكن يعلم على إطلاقه.

وإنّ الرسول إن كان أمّيا وإن كانت الأمّة أميّة قبل البعثة فلا مجال لما يتشدّق به البعض باستمرار بكلمة أمي لأنه يستحيل أن يستمر النبي والأمّة على الأمية حتىّ بعد نزول الوحي.

منع ترادف الكلمات المتشابهة غير المتماثلة بالقرءان.

ومن بين عناصر إثبات علم النبي بالقراءة والكتابة، هو اختلاف شكل كتابة القرءان عن شكل الكتابة العربية وقواعدها، وهو أمر يؤكد أن اختلاف شكل الكلمة القرءانية الواحدة عن أختها في الحروف يؤكد تفرُّد كلِّ منهما بمعنى مستقل، فمن أين أتى كتبة الوحي بقواعد كتابة

القرءان؟، إنها لا شك البيان الحرفي ومراقبة رسول الله لمهمة كتبة الوحي في الكتابة، فقد كان ذلك بتوجيه منه صلى الله عليه وسلم، بما يعني علمه بالقراءة والكتابة.

ومن بين مصيبة الترادف التي احترفها فقهاؤنا نقلا عن الفقه القديم ما أسميه أنا ترادف الكلمات المتشابهة غير المتماثلة، مثل كلمة عظام والعظام وعظامه، فقد وردت كلمة العظام وكلمة عظامه بألف المد بين حرفي الظاء والميم، فكان رسمها بالقرءان هكذا (ﮕ)، فكانت ترد بهذا الرسم حين أعاد الله تلك العظام سيرتها الأولى حين البعث، وكان ذلك بآيتي سورة البقرة والقيامة فقط، أما ورود ذات الكلمة في باقي المصحف فكان بالرسم هكذا (ى ـ ﮓ)، فكانت بغير حرف ألف المد بين حرفي الظاء والميم، وكانت ترد حين يكون الأمر في وصف أو ذكر العظام بدون إعادة إحيائها .

وفي ذلك دلالة على وجود رقابة نبوية على كتبة الوحي إذ من أين لهم أن يعرفوا مراد الله في شكل الكتابة إلا بتوجيه النبي لهم؟، وكيف يوجههم النبي دون أن يكون فاهما لشكل الحروف ومعانيها؟.

وكذلك كلمة الضعفاء وردت بهذا الشكل (ﭰ)، ووردت بهذا الشكل (ﯖ) ، وقد ورد كل شكل منها مرتين، فكانت تمثل في الشكل الأول ضعفاء الدنيا أما الشكل الثاني فكانت تمثل ضعفاء الآخرة، وما عليك إلا أن تتدبر لتعلم بأن النبي كان يوجه

كتبة الوحي لشكل الكتابة، وأن لكل حرف بالقرءان معنى مستقلاً أراده الله عز وجل.

إن القرءان الكريم لا عثمانية لرسمه، فقد كتبه كَتَبَة الوحي قبل خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ بسنوات عديدة، وما كان لعثمان أو لغيره أن يكون له رسم مخصوص، وإلا لكان لكل شخص شكل كتابة يختلف باختلاف النَّاس بعضهم عن بعض.

وأنتهي إلى أن كتابة القرءان وشكل حروفه كانت وفق وحي السماء، وكان النبي يراقب أعمال كَتَبَة الوحي؛ حتى يخرج القرءان وفق مراد الله شكلا وموضوعا، وهو الأمر الذي يمكن تفنيده فيما يلي:.

1. أكان عثمان يعني أن يكتب كلمة {كتاب} بحرف {ألف المد} بالآية رقم 27 من سورة الكهف، والآية38 من سورة الرعد، والآية رقم 1 من سورة النمل، بينما لا يكتب حرف ألف المد في باقي المصحف؟، أَوَكان ذلك مزاجه وهواه؟، أم وقع الأمر سهوًا منه، أم كان يهذي؟، وتدبر ـ رحمك الله ـ الآيات التي سأوردها عن تلك الكلمة بالرسم الذي يزعمونه عثمانيًا فيما يلي:

2ـ قوله تعالى في سورة الكهف: { ❒◆✁✍✍⬂✍⬉
✌◆✍✍✎ ✍📖⬆❒❒⌘ ♓⬂✍ ♐♋◆✿ ✉✎ ♋♋ ✍♋⬀◆✍✍☋
❻◆✍✍♋①✍ ☎ •• ✍⬉✍◆⑨♎✍◆
♏✍⬛♎☺✉⏲✍♋❍✍♋✍ ❒◆♏✍♋♏✉⑨✉ ♋♌♊
⑩⬅❒☼♋❍♋✍ ✍⬉✉▫✍◆•✉⑨✡✁ }. بينما في ذات السورة بالآية

الأولــى يكتــب كلمــة { كتــاب} بــدون ذلــك الحــرف هكــذا {
♦✌♦❽☼❒🕮 ✓❽♉♎⅄✏🙰✃ ★✏ ←⑨⇗☺❑♦⬂💻🙰✃
⬄⚐⬧♑♦❑ ❁◼🕔♦☝⇞▤⬂♑🙰✃ ⚠■♉⑨⬀⌨♦⬉ 🗐❼■✍♦⬉
⑥⬧♑⬂➔◪✍ ✏⅄🕮⬉🕛 ⬉♉❑♦♊◪♎🗎 } . ثــم تجــده فــي الآيــة

رقــم 38 مــن ســورة الرعــد يكتبهــا بحــرف {ألــف المــد} هكــذا:

} ❑♦♑⬧◗⬧⑨⇳ 🕮❑❻⬀⬁◪◘⬝☪♦🙰 ❻↓⬁←☒⯐ ✋♓♉♊
♎⬧⌛⬀◘♑⌨◪ ❑♦♉◪➔◪◘⬝☪♦🙰 ▭○●←☠⬀
🙰♦✋♦❑ 🗐 ☪❑✹③⚠⚞❻➔❶♦❑ ♎☯♊🕔♦❑⬂♐❑🕮
♦❼♒✌⬝🕯♦③ ♌❑🕮 ✍✌❑←⬁♦❷♉♑ ♦♌♎☒✉
▤ ★✏🙰✃ ⬀♌⬂❶♒✉♒✉ ⬧⬥♒◗ ✇❑♦③🙰♦★♒✉
♑♉▤➚✍♏⬀ 🕮❑♉◪✍♑ ⇞☝♦🙰✇⚠ } ، بينمــا بالآيــة رقــم 2

مــن ســورة البقــرة كُتبــت كلمــة كتــاب بــدون حــرف ألــف المــد هكــذا: {
❶♦🕔♑♉⌨◪ ✃🙰♑⬂⌛⇞☝♦🕔◘➲ ⬥⬥ ❻♦③⬃◘❁ ○ ⬝♉⓿○♉
○ ♎➔⑨⬗❽ ♑♏♉◘⬝☺←☞✹◗⬀⓾♊⌘ }.

ـ وتـرى اختلافـا فـي شـكل كتابـة ذات الكلمـة {كتـاب}، بيـن الآيـة

الأولى من سورة يونس، حيث كتبت كلمة كتاب بدون حرف الألف، بينما

بالآية الأولى من سورة النمل كُتبت مع وجود حرف الألف، فهي هكذا

بســــــورة يــــــونس:{✃♑✏❷ 🗐 ✍♉◘⌨◪ ➚♦✃③♦🕔⬧*➔

✃🙰♑⬂▤⇞☝♦🕔◘⬀ ✃🙰💻⬂♦❑▤⇞❿⚐⬀ }؛ وهكــذا بســورة

النمــــــــــــــــــــــــــل: { ⬖▪✕ 🗐 ✍♉◘⌨◪ ➚♦✃③♦🕔⬧*➔

✃🙰♑⬂◗➔❷⬀➚♦✃♌⬀ ❑♦▤⇞☝♦🙰✇▯ ✋⓾⌨♒✓✕✌ {

أفكان الأمر مقصودا لذاته، أم للهوى، أم للخطأ، أم لعثمانية الأمر؟؟، لا

شك أن هناك علما لم نصل إليه بعد.

ولا يقولن قائل من أهل التبرير والتبسيط بلا قواعد علمية، إن حرف الألف حين يُحذف يوضع مكانه علامة {الألف الخنجرية} التي تُنطق كحرف الألف، لأن مقالي يبحث في شكل الكتابة، ومدى نسبتها، ولمن تُنسب للرحمن أم لعثمان؟ وليس نطقها.

3ـ وهل كان عثمان . رضي الله عنه . يعنى أن يكتب كلمة { لشيء} هكذا بينما يكتبها بالآية رقم 23 من سورة الكهف هكذا {لشايء} وإليك البيان بالرسم المزعوم أنه عثماني:

يقـــــول تعـــــالى:{ ❒◆⬩⬩ ✍⬧◗➔❑⬧♐♊⬤
♐⧫⬧☎❽⇳⬈⬗ ◗❀❒❄❀❼ ▫⬧⬧⬉❀✍⪡ ➊⬧⏲♐❀⓵⬤ ⬊⊠⑨⟐✁}؛ بينما يكتبها في باقي المصحف الشريف بدون حرف الألف مثل قوله تعالى في الآية 14 من سورة الرعد: {♐⬧○←⏀
⑩⍓⇳❑◆❒⬈ ✁⬧⬧⬧☐◆❒⧋⎈⎀ ☎ ❒◆✁⬧⬧⬈⬧⍾⬧⬦×◆
③◆⑨⇳⬉⬉❑♌◆ ✌❀♊ ⑩←❑☼❀○❀⏀ ⬩⬩
④❑○⇔✌◆⬈⬉⓿⬩←❑♌◆ ⬧♐⬩⑂←⚐ ⬧⬧❀⬗⊞⬧⇔⬈⬗ ◗❀⬩⬩
⬧⊠⬧◆⏀⬉○⬧⬉ ⊠▦⓪○⬧❀ ◗❀⬧■❼
✁⬧⬧☺⬧✍⬈❀ ❀⓪◆⬧⬈⊠ ▫⬩⬧■← ❒◆✌◆⬧
⚐❒➔◆ ⬧❀⬧⬩⬧⬧⬧⬧⇔❀○❀⏀ ⬧❒◆✌◆⬧ ⑩←⬊◆⬧⬧⬈↓
✁⬧⬧⬧⬩⬩⏀⊞❀❷⬧⇔×◆ ◗❀⬩⬩ ×❀❼ ⬧✪⬧■⏀✍⬧}؛ أم أن كلمة {بشيء} غير كلمة {لشيء}.

4. بل وصل أمر الاختلاف إلى شكل كتابة كلمة {صاحبه} فكُتبت مرة بمد الألف وكُتبت مرة أُخرى بدون ذلك الحرف، بل بذات السورة وبذات السياق، حيث يقول تعالى بالآية رقم 34 من سورة الكهف: {
❒◆⬧⊠⬧♍♐ ⬧○←⏀ ⚐❒☺⬧❷⬧⊠ ▫⬩❀⬩⬧✌◆

}؛ بينما بالآية رقم 37 من ذات السورة ترى أن كلمة صاحبه كُتبت مع وجود حرف الألف هكذا: {

}؛ فما الفارق؟، ولماذا حذف الحرف مرة وظهر أخرى في ذات السورة وذات التحاور بين الصاحبين؟، وهل يكون لسيدنا عثمان دخل في هذا؟.

5. وكلمة حرام تُكتب دوما بحرف الألف إلا في الآية رقم 95 من سورة الأنبياء، بينما كلمة حلال تُكتب بدون حرف الألف وتأكيد ذلك فيما يلي:

يقول الله تعالى: {

} النحل 116؛ لاحظ الفرق بين كتابة كلمة حلال وكلمة حرام بذات الآية، ولاحظ أن كلمة حرام بحرف الألف، بينما بسورة الأنبياء ذات الكلمة بدون حرف الألف هكذا: {

[illegible]}، فهل يمكن أن ننسب ذلك الاختلاف لسيدنا عثمان لنخفي عدم معرفتنا بسبب التباين؟.

6. وكلمة {آتينا} تراها بحرف الألف في نهايتها بالآيتين 53 & 253 من سورة البقرة، بينما تراها بدون حرف الألف في نهايتها بالآية رقم 54 من سورة النساء، كذا بالآية 46 من سورة المائدة، وعموما يمكن استعراض الأمر هكذا:

{[illegible] } 53 البقرة، وبالآية 253

يقول تعالى: {[illegible] .... }.

بينما بالآية 54 سورة النساء تجدها بدون ألف المد هكذا

{[illegible]}:

[illegible]}، وتجدها بسورة المائدة آية 46

مكتوبـــــــــــة هكـــــــــذا: {[illegible]

[illegible]}؛ أم تُرى لأن هناك فرقا بين كلمة آتينا وبين آتاهم أو أتيناهم في المد أو قواعد اللغة؟؟، وهل يؤثر ذلك في المعنى؟؟، هذا ما سوف نعلمه.

تأويل اجتهادي لأسباب الاختلاف.

ولقد احتار الفقهاء والنَّاس في الأمر، لكن كعادتنا في إيجاد التبرير لكل ما هو معقول أو غير معقول، قلنا إنه الرسم العثماني، بينما عثمان يتبرأ أن يكون رسم رسمًا لم يرسمه رسول الله، لكن على أية حال إليك تعليقنا وتصورنا على كل ما تم ذكره:

1. إن وجود كلمة {[illegible]} ناقصة بدون حرف المـــد بـــالألف إنمـــا تعنـــى أنـــه القـــرءان الكـــريم، فحـــين يقـــول تعـــالى:{[illegible]

▫♉⓿❍♉ ❍ ♎➔⑨✞❽ ♐℮♉◘▫☺←☞✸◗✍⑩♊⌘ { إنما يعني القرءان الكريم، لكن حين تكون الكلمة كاملة فهي تعني الكمال بما يعني علم الله، وذلك من قوله سبحانه وتعالى: {❒◆✃✍✍✎⬂⬁✌◆✍✏
🕮↑❒❒✈⌘ ⚐⑨♐♦⓿⬂⌨◰ ✌♉♊ 🗏✍☝♦✍✇✌
❻◆✉■⚐①✂ ☎ ••✌⬁⌨◆⑨♎♉✌◆
♐♉▤•◘⚐☺◰⓿☝♉❍♉⓿ ❒◆♐•♊ ✌❒♑✍⑨◰ ✌♉♊
⑩←❒☼♉❍♉⓿ ✌⬁◘▫☝◆•◰⑨✡✃}؛ يعني اتل ما أوحي إليك من القرءان الذي هو من علم الله الكامل الذي ما بعده علم، ويمكن أن ينصرف الأمر إلى اللوح المحفوظ الذي يحوي القرءان ضمن ما يحوي من علوم.

2ـــ وكلمـــة {   ❍◰◘■⓿✍ } وكلمـــة {❍◰❷◆✃✑⋞}

مـــع الفـــوارق الســـابق ذكرهـــا بينهمـــا، لأن كلمـــة {   ❍◰◘■⓿✍ } تعنـــى امتنـــاع العبـــد عـــن الحـــرام، فشـــهوته ناقصـــة، وإرادتـــه تبعـــا لمـــراد الله، لـــذلك تكـــون الكلمـــة تحـــوي نقصـــانا، أمـــا كلمـــة { ❍◰❷◆✃✑⋞}فتعنـــي أن العبـــد لـــم يمتنـــع عـــن شـــيء واســـتمتع بمـــا حـــرم الله، فكانـــت إرادتـــه طليقـــة، لـــذلك فكلمـــة حـــرام كاملـــة، أو لعلها تحمل ذات الحرف { الألف }الذي تحمله كلمة { نار}.

لكن في الحالة الوحيدة التي تكون فيها كلمة حرام ناقصة، فهي بالآية 95 من سورة الأنبياء، وذلك أن الله هو الذي يحدد للقوم الحرام أي ينـــتقص مـــن حريـــاتهم؛ ليختبـــر إيمـــانهم، فيقـــول تعـــالى:
{❒◆❍◰❷◆◷✑⬊⬉◆✍■❼🗐 🔔•❷⬀③◆❒✇

•• ⬀☠←♑❋☼❒🕮 ✍🙰⍓♑🕒❑✡⬁▤■🖪⬃♎❒🕮
.{ ☙♍❑⬉➔⬂♉⬀❷♦③

وهنـــاك المئـــات مـــن التباينـــات فـــي شـــكل كتابـــة القـــرءان، ولكـل منهـا تأويـل لا يعلـم حقيقتـه إلا الله، أمـا تـأويلي المـذكور فهـو مجـرد اجتهـاد منـي وبعـض جُلَسَائي . جـزاهم الله خيـرا . أسـأل الله أن يتقبلـــه، ويوجـــد مُؤَلَّفًـــا اســـمه {إعجـــاز رســـم القـــرءان} لأحـــد المجتهـدين اسـمه الأسـتاذ/ محمـد شـملول، يحـوي دراسـة كاملـة وشـاملة عـن الأمـر، وقـدم لـه فضـيلة مفتـي جمهوريـة مصـر الشـيخ/علي جمعـة، لكـن المهـم عنـدي أن تلـك الاختلافـات لـم تكـن وليـدة بنـات أفكـار سـيدنا عثمـان بـن عفـان . رضـي الله عنـه . إنمـا كانـت توقيفـا حصـريا مـن الـرحمن، ودوَّنهـا كَتَبَـة الـوحي هكـذا كمـا أمـرهم رسـول الله، وفـق مـا أمـره الله، ولكـل كلمـة شـكل لـه معنـى، ولشكلها مغزى ونسأل الله الهداية.

الخلاصة:

نخلـص ممـا سـبق أنـه يسـتحيل تصـوُّر أن كَتَبَـة الـوحي كـانوا يكتبـون القـرءان وفـق هـواهم بكـل تلـك الاختلافـات، لكـن مـا يمكـن استخلاصـه أن الرقابـة النبويـة علـى كَتَبَـة الـوحي هـي التـي راقبـت كتابـة القـرءان كمـا أراد الله لحروفـه وكلماتـه أن تكـون، بمـا يعنـي أن رسـول الله كـان يعلـم شـكل الحـروف، وبمـا يعنـي أيضـا أنـه

كـان يجيـد القــراءة والكتابــة، ولا يُغَيِّـر مــن الأمــر شـيئا أن القــرءان كـان ينــزل علــى قلــب رســول الله فتــراه عينــاه، وكـان لا ينســى مــا يتنــزل عليــه، وقــد علَّمــه ربــه مــن علــوم الأولــين والآخــرين، فهــل يحرمــه مــن علــم القــراءة والكتابــة؟، إنــه بمجـرد أن أمـره {اقـرأ} فقـد قـرأ بحــول الله، لأنــه ـ سـبحانه ـ إذا أراد شـيئًا أن يقـول لــه كـن فيكون.

إن الذين قالوا بالأُمية خشية أن يتهم أعداء الإسلام النبي بأنـه الذي كتب القرءان، إنما كان ذلك يجوز في عصور خلت لم يكن الله قد جاد علـى النـاس بعلوم شتى تُثْبت أن القرءان من لدن الخـالق، كما لـم يكشف لهم الله من ثبوت الرؤية العلمية لكتابه فـي الكون كما ثبتت لنـا، لذلك قد يكون لهم عذر فيما انتهوا إليه، أما اليوم فلا يجوز لنـا أن نـردد ذلك، لأنه يعبر عن سخف وعدم ارتبـاط المسلم بالدنيا من حولـه، لأننـا لابد وأن نؤمن بأن الله يبين آياته المسطورة من خلال الكون المنشور.

الأمـر الثـاني أن تلـك الاختلافـات فـي الشـكل الحـروف، لابـد أن يكون لها مدلولاتها، لأنـها منظومـة ومنتظمـة، لـذلك يجب بـذل مزيـد من الجهد بهذا الصدد للوصول إلى المرامي القرءانية من وجود اختلاف شكل الكتابـة للكلمـة الواحدة، وهو أمر نضعه أمانـة بأيـدي مجامعنـا الفقهيـة، بدلا من التمَسُّح بمقولـة {رسم عثمـاني} والركون بعدها، لأنـه تأكد لـدينا أنـه {رسم رحمـاني} لـه دلالاته.

الأمر الثالث أنه يجب علينا جميعا تدبر كتاب الله، ولا نقف عند جهد الأقدمين، ولابد أن نحدد مدلولات الألفاظ وفق عقولنا نحن، إلا ما ورد عنه تأويل خاص من النبي ε يتناغم مع كتاب الله، وليكن رائدنا في ذلك علماء عصرنا قبل أن ننقاد لعلماء السلف بلا ضابط.

كتب للمؤلف

1. كيف كان خُلُقُهُ القرءان.
2. إسلامنا والتراث.
3. كنوز ورحمات من القرءان.

4. ردا على الغلو (الفرق بين المنازعة والاختلاف).

5. أوهام عذاب القبر.

6. الوهابية تؤخر المسلمين... (مشترك).

7. الساعة....القيامة . هناك فرق.

8. لا ترادف بالقرءان.

فهرس بمحتويات الكتاب

الفصل الثاني